روايات عبير

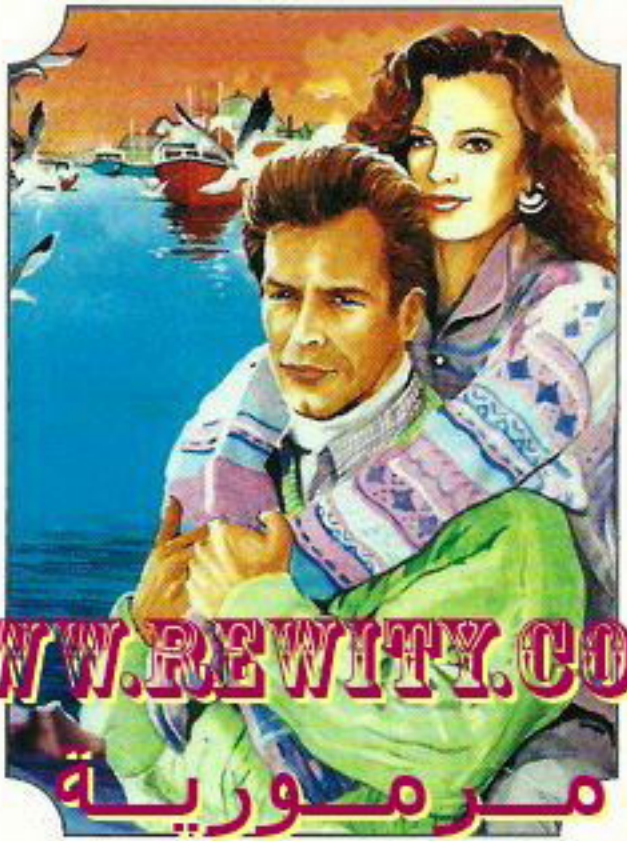

WWW.REWITY.COM
مرموريـة

الحبّ العاصف

لينـدا دوجلاس

٣٣١

روايات عبير

N 331

بحكم القانون، "كارنوك" ملك لها

حين ورثت "روكسي بيج" ضيعة في بلدة "كورنويل"، كانت لأسرة "إيثان تريمين" منذ عدة أجيال، أدركت أنّ أبواب الجحيم ستفتح على مصاريعها.

ولم يخف "إيثان" أنّه سوف يفعل أي شيء ليستعيد ما كان يراه حقاً مشروعاً له. بل وصل الأمر إلى التهديد بأنّه سوف يلطخ سمعة أمها في سبيل ذلك.

ورغم العداء الصارخ بينهما لم تكن "روكسي" لتنكر ما بينهما من تجاذب عنيف. ولكن التساؤل لدى "روكسي"، كان عن المدى الذي يمكن أن تتأثر به رغبته فيها بتأثير ما يسيطر على أفكاره.

ثمن النسخة

Canada	6 $	قطر	٨ ريال	لبنان	٢٥٠٠ ل.
U.K.	2 £	مسقط	٧٥٠ بيسة	سوريا	٧٥ ل.
U.S.A.	4 $	مصر	٤ جنيه	الأردن	١ دينار
Greece	1500 drs	المغرب	٢٠ درهم	السعودية	٨ ريال
Cyprus	2 £	ليبيا	١ دينار	الكويت	٧٥٠ فلس
France	20 Fr.	تونس	٢,٥ دينار	الإمارات	٨ دراهم
		اليمن	٢٥٠ ريال	البحرين	٧٥٠ فلس

العنوان الأصلي لهذه الرواية

BACHELOR IN PARADISE

تأليف

Linda DOUGLAS

الحب العاصف

(٣٣١)

ترجمة

علي يوسف علي

صاحب الإمتياز

انطوان القسطه

وكيل التوزيع

المركز الدولي للطباعة والطباعة والنشر والتوزيع

ش. م. م.

مكتب لبنان

ص . ب 374 جونيه - لبنان

تلفون : 00 961 9 262 939

فاكس : 00 961 9 260 401

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي قسم أو جزء من هذا الكتاب وبأية وسيلة ..
إلا بعد الحصول على موافقة خطّية من الناشر .

تقديم

هذه قصة فتاة في أوج مراحل الشباب ، انتمت إلى المدينة باضوائها وصخبها فتجاوبت معها طموحا، ومرحا ، وانطلاقا ووجدت في مادياتها ما تشتهيه من متع الحياة .

وفجاة ، وعلى غيرتوقع منها ، يدعوها الريف إليه ، بسلامه وهدوئه وطبيعته الساحرة الخلابة ، فيسلب لبها ، ويستحوذ على روحها .

ولكن حائلا يحول بينها وبين هذه السعادة الجديدة التي اكتشفتها، متمثلا في رجل اختاره قلبها ، ورفضه عقلها . وجدت فيه النعيم الذي تنشده ، والتهديد الذي تخشاه في آن واحد .

ومع مفارقات هذه القصة الغنية بمواقفها الإنسانية ، نعيش احداثها الممتعة.

شخصيات الرواية

روكسانا بيج :

سيدة اعمال ناجحة ، وشابة رائعة الجمال

إيثان تريمين :

شاب إقطاعي

www.rewity.com مرموريـة

أريدك أن تعلمي هذا

وتلاحقت انفاس "إيثان"

- " إنك تشعرين بنفس الشيء ، رغم اننا لم نكد نتعارف على بعضنا فلماذا ؟ "

وحاولت روكسي وهي ترتجف ان تشد نفسها بعيدا عن مجاله المغناطيسي الذي يجذبها إليه في عناد . ولم تكن تسمح على الإطلاق بان تفقد تحكمها في نفسها .

وردت عليه قائلة :

- " مجرد ثورة من الهورمونات على ما اعتقد وحملق "إيثان" إليها :

- لا تحاولي الهرب مني ، فلن اسمح لهذا ان يؤثر في على الدوام ، فانا كاره لذلك ، وسوف اضعك تحت سيطرتي سريعا ومهما حاولت ان تبعديني عن ذلك بهذا المرح منك ، فسينتهي بك الأمر حتما حيث اريد انا . " وكانت عيناه ، تشعان بالرغبة . ثم ركز عينيه عليها ، واطبق عليها يقبلها حتى صعب عليها التنفس .

الفصل الأول

دخلت "روكسي بيج" متجرها بشارع اكسفورد ممتلئة بالحيوية وتصحبها دقات كعبها العالي الحادة ، ويحيطها عطرها الذكي ، واخذت توزع تحية الصباح على العاملين لديها بمنة ويسرة ، ولم تتوقف وهي في طريقها إلى الطابق الأعلى حيث توجد المكاتب ، إلا لتضع لمسة سريعة على احد المعروضات - " صباح الخير يا چو " وواجهت سكرتيرها بابتسامة مشرقة . ثم القت بقبعتها القرمزية على اريكة جلدية ، سوداء ، وهزت شعرها الداكن المشعث ، الذي انفقت وقتا طويلا ، لتصفيفه في تلك التسريحة الشعثاء ..

- " اليس يوما رائعا - همهم ، انت إذن في إحدى تلك الحالات المزاجية . اليس كذلك ؟ إنه آخر مارس ، حيث السماء الداكنة ، و الجو البارد ، ... "

ولوحت له بيديها المعبرتين ، رفضا لكلامه :

- لا ، ليس ذاك - إنني اشعر اليوم وكاني على قمة العالم " وواصلت التعبير بيديها اللتين لا تهدأ لهما حركة :

- ويجب أن تكون انت كذلك . بعد الغداء ، ساكون منهمكة في

التخطيط لمحلين آخرين من محلات " زست " . واتسعت عينا "جو" في شك:

- ولكنك لم تحصلي على التمويل بعد " .

وصرخت فيه دهشة ، وقد لمعت عيناها في زرقة السماء بالإثارة :

- بالتاكيد حصلت عليه ! بعد قضمتين اثنتين من شريحة لحم الضان ، وشرح للنجاح المضمون ، من ذا الذي يتاخر عن إقراضي المال؟"

وانحسرت الشكوك عن "جو " . إنها تفيض بالثقة والتاثير.

ولن يستطيع احد مقاومة روكسي حين تفور حماسا . فهو نفسه قد بدا يتجاوب مع فورة طاقتها لمجرد وجودها بالغرفة . وتنهد قائلا:

- " يا للفتى المسكين . إن بي رغبة ان اتصل بذلك الممول واحذره من تلك الدعوة على الغداء ، خاصة وانت متهللة هكذا . " فردت عليه في حسم :

- إن الاستثمار معي هو اليقين بعينه . واي احمق يمكنه ان يرى ذلك."

- ولكن الموردين يضعون العراقيل ، و تجب مراقبتهم إذا أردت استمرار هذا النجاح .

إن بعض المشاكل قد ثارت مرة اخرى " .

- " رباه " وصبت لنفسها قدحا من القهوة السادة ، ورفعت قدح الصيني الفاخر إلى شفتيها المزينتين بلون زاه :

- "دعني آخذ جرعة من الكافيين اولا ، واخلع معطفي " .

وفرغ القدح سريعا ، والقت بالمعطف الاحمر القاني على اريكة ، ثم اتجهت إلى مكتب "جون " وقالت متوسلة :

- رحماك مما ليس منه بد " .

فابتسم لها . لقد كانت مزيجا من العشوائية والتعقيد ، اوجودة التنظيم ، والتشويش .

احيانا يشعر معها بانه الأرزن والاكبر عمرا ، واحيانا يتحرك عقلها بسرعة فائقة إلى ابعاد شاذة ، ولكن نيرة ، تتركه متخلفا عنها .

فبينما يفكر الناس في امورهم بروية ، فإن مقدرة روكسي فائقة على اتخاذ قرارات فورية ، والإصرارعليها ، وإنجاحها غالبا بالعزم وقوة الشخصية اكثر من اي شيء آخر إن له عامين يعمل معها ، منذ ان افتتحت محلا صغيرا للمواد الغذائية الصحية ثم طورته إلى سلسلة محلات ذائعة الصيت ، تصدر إلى شتى بقاع العالم . وهي التي تثير بنفسها الحمية في نفوس العاملين لديها ، وفي الجو الخاص لكل محل من محلاتها ، بحماسها وتفاؤلها المنقطعي النظير .

لقد الهبت في وقت قياسي حماس كل شيء ، وكل إنسان حولها . وكان كل يوم متعة متجددة وكم لهثوا وهم يحاولون مواكبة التغييرات الفجائية في خططها.

وقال لها باقتضاب :

- " الأعشاب الطازجة لا يمكننا الحصول عليها . " لم تكن تحب الشروح المطولة . إنها تندفع إلى لب الموضوع اندفاعا يجعلها تتجاوز التفاصيل .

وعبست ، والتقطت سماعة التليفون مديرة الرقم بطرف قلم رصاص ويدها الأخرى على ردفها الرشيق في وقفة مشاغبة ، وعيناها تلمعان تحسبا للتحدي.

وفي لهجة تقريرية ، قالت :

- " شارلي ، إنني في ورطة . كن ملاكي وانطلق إلى دورست ، وتكلم مع مس ويليامز ... قم بترتيبات استمرار التوريد ... بالتاكيد ، ولكنك ممتاز في الاتصال المباشر . وانت الوحيد الذي يمكنني ان اطلب منه وانا مطمئنة للنجاح ... شكرا ، اتصل بي حين تصل إلى نتائج " ثم قطبت جبينها" لجو " : " اخطر المحلات جميعها بالموقف "

وقال "جو " محاولا ان يضع الامور في موضعها في ذهنه :

- " ولكن هذا لا يمثل إلاجزءاً ضئيلا من مبيعاتنا "

ورمته بنظرة وامضة :

- ليست هذه هي النقطة . لقد تعود عملاؤنا الحصول على الأعشاب الطازجة منا . ولن اتنازل عن الكمال يا "جو " .

واطبقت فمها في تصميم ، ودخلت غرفة مكتبها . هذه ثالث مرة

تتوقف التوريدات لسبب أولآخر . لماذا ، هذا امر لا يهمها . المهم هو النتائج ، وهو ان يستمر تنظيمها الرائع في الازدهار . لقد وضعت كل طاقاتها في تاسيس افضل محلات المواد الغذائية في لندن ، وقد حققت النجاح لانها لا تقبل التنازل عن الافضل ، ولا تقر بالهزيمة ، ولا تتوانى في استخدام كل إمكاناتها العزيمة ، او الشجار او الإغراء ، او السحر الانثوي .

وتوقفت لتلقي نظرة فخر على مكتبها ذي الفخامة والتقدم التكنولوجي ، بالوانه المفضلة لها، الابيض و الاسود ولون اللهب . وكان رداؤها الصوفي الانيق مقبولا في تفصيله ، ذا لون برتقالي ، ويحيط خصرها حزام جلدي اسود عريض . ويتدلى من عنقها عقد كبير الخرزات سوداء اللون . وقد لفت على ردفيها شالا ذا ظلال من لوني الفوشيا والقرمزي . وكان تاثيرها ، مع هذه الالوان خاطفا للنظر تثير الحسد ورغبة الرجال بهذا الجمال الفتان . ولقد كانت تحوز كل ما تتمنى : النجاح ، والقوة ، والحياة المتدفقة . فالمدينة تئز وتطن ، وتهتز متوافقة معها تماما ، دائمة التغير كشانها ، مولدة للتنويعات والإثارة اللتين لا تنتهيان . ولكن شيئا واحدا كان ينقصها، الرضا او القناعة . ولم تكن متاكدة انها محتاجة إلى ذلك وكان نفس الشيء بالنسبة للحياة العاطفية . فقد اخبرتها التجربة ان الحبيب يسعى للسيطرة عليها في كل شيء ، وقد كانت دائما مالكة لنفسها ، ولا تتحمل من يملي عليها شيئا . ولم يكن في نيتها ان تكون طبقا لحلم احد في زوجة كاملة ، اوان تتصرف وفقا لهوى احد . وتنهدت، امر مؤسف ان يعجب الرجال بشخصيتها في بادئ الأمر ، ثم لا يلبثون ان يحاولوا إخضاعها بعد ذلك !

كانت ضد خضوع المراة للرجل . وقد مرت بها علاقتان طويلتا الامد ما إن يخمد الهيام الاول حتى يفشل في بعث اية مشاعر اعمق . وبدات تميل إلى تصديق ما يشاع حول شخصية مواليد برج العذراء . وبدا القلق يبدو في عينيها . فوراء الشخصية الجسورة التي تتملكها ، ربما تكمن فراشة . اتكون تحمل شخصية فراشة جسورة ، اضعف من ان تتحمل عبء ارتباط عاطفي .

ولكن افتقادها إلى الارتباطات العاطفية كان في هذه اللحظة ميزة لها ، إذ كان يعني تكريس طاقاتها في العمل ، وهو مجال اكثر متعة لها من قضاء ليال مملة .

وكان اختلاف شخصيتها عن امها امرا محيرا لها ، وكسا وجهها شعور من الاهتمام العميق ، كما ترقرقت عيناها وهي تتطلع إلى الصورة الموضوعة فوق مكتبها ، ووقفت في خلوتها مع نفسها صامتة ، والحزن يملأ قلبها . إنها لم تبك والدتها بعد ، منذ ان جاءتها انباء وفاتها .

ورفعت الإطار الفضي الذي يحتوي على الصورة ، واخذت تتامل وجه والدتها الحبيب ، وغمرها شعور بالوحشة .

كم افتقدك يا اماه . لقد كنت الوحيدة التي تعرفني من الداخل . والآن ، لم يعد يوجد أحد على الإطلاق .

ولمعت عيناها بالدمع ، ووضعت الإطار وهي تقاوم اختناق حلقها . من ثلاثة اشهر فقط ، جاءها نبا مصرع والدتها في حريق . ولم يكن لها من عزاء سوى عدم تالم والدتها ، حيث اختنقت بالدخان في اثناء نومها ، في المنزل الذي كانت تعمل فيه كمديرة له . ومع ذلك ، فقد كانت الحادثة تفزعها كلما جالت بخاطرها.

كانت والدتها تعمل لدي السيدة " تريمين " العجوز ، سيدة طاعنة في السن ، غريبة الأطوار . تتحاشى الناس . ومن ثم لم ترهي المنزل الذي كان في كورنوول ابدا. ولكن امها وصفته لها كثيرا في خطاباتها وفي حديثها في اثناء زياراتها النادرة لها ، التي كانت تسمح بها السيدة طريحة الفراش . كان منزلا غاية في الضخامة بالنسبة لفردين يعيشان فيه ، وبالنسبة لوالدتها كمديرة له ، حيث إنها كانت تعمل في نفس الوقت كممرضة لمخدومتها . ولما كانت الحديقة مهملة ،نمت النباتات بها عشوائيا فصارت اقرب لحديقة اسطورة اميرة الجمال النائم .

سيدتان تعيشان وحيدتين وتموتان وحيدتين . يا للفظاعة . وابن مسز "تريمين" وابنتها يعيشان في ارض مجاورة وحيدين بينهما وبين والدتهما سور عال من الكراهية ؟ امر غريب !

وتحول الحزن في عيني روكسي إلى الجمود ، حين تذكرت الجنازة التي اقيمت في ديسمبر .

فـ "إيثان تريمين " لم يفعل اي شيء للترحيب بها ، أو باي مشاعر عزاء تجاهها ، ومع ذلك ، فقد كان وقعه على نفسها اكبر مما تخيلت . لقد تجاهلها ، وهي التي تخطف ابصار الناس ، بل إنه لم ينتبه إلى اي احد آخر ، وكانه خلق وحيدا ، ولم يخلق احد سواه .

وتقارب حاجباها . إنها المرة التي لا تعرف عددها منذ الجنازة ، التي تضبط نفسها تفكر في "إيثان" ، بدلا من امور حياتها . ولكنه إنسان غريب الأطوار .

وانهالت المكالمات وسرت الحمى في جهاز الفاكس . وابتسمت متنهدة بمرارة قبل ان تدخل المعمعة .

وقطع جهاز الاتصال الداخلي الافكار المتلاثة التي كانت مندمجة فيها حول افتتاح محل جديد في مدينة بريستول . فردت وهي تتامل رسما للموقع :

- نعم يا "جو"

- " من يدعى "إيثان ... تريمين " على الخط ."

وارتفع ذقنها في تحد . وابتسمت بمرارة لرد الفعل ذلك :

- " لم اسمع بهذا الاسم من قبل " وشعرت بالراحة لذلك الرد .

زمت شفتيها زاهيتي التزيين ، وانحنت على الرسم من جديد. ابعد نظرة عداء باردة رماها بها في لمحة خاطفة من عينيه الخضراوين الباردتين ، ثم تجاهل كامل في اثناء الجنازة ، يفكر ان بإمكانه ان يتصل بها حين يعن له ذلك ؟ إنها مشغولة .

واز جهاز "جو" من جديد :

- " إنه يقول لي " بحق السماء إنهاقد سمعت ولتصب علي اللعنة لو سمحت لنفسي ان تعاملني عاشقتك هكذا ! "

وبدا الرجل دهشاً : " كيف حصل على رقمك الشخصي؟ ، ومن يكون هو اولا ؟

فردت ضاحكة :

- " احد احفاد اتيلا زعيم الهون . اخبره اني اكوي مريلتي"

- "ماذا ؟ " وقهقهت : - " لقد سمعتني " .

حين اقتربت "روكسي" من الكنيسة المقامة بها طقوس الدفن ، اعلنت اخت "إيثان" بازدراء ان ابنة مديرة المنزل قد وصلت ولم يكلف "إيثان" خاطره ان يلتفت. ولكن " انابيل " ظلت تشد كمه هامسة له . وكان هذا حين رماها بنظرته تلك ، وهويتطلع إلى ملابسها في لمحة من دهشة . ولا عجب في ذلك فليست الكثيرات من النساء من يرتدين معطف مطر للرأس في اثناء الجنازات !

وبالتاكيد لو كان الرجل اكثر ادبا لفسرت له ذلك ، ولعملت على ان يرى الرداء الأسود الأنيق الذي كانت ترتديه . ولكن تصرفهما الوقح جعلها لا تلقي بالا لما ظناه بها .

وكان صعبا للغاية ان تكتم دموعها وهي ترى هذه الغطرسة منه . وكلمة احتقار اخرى منه كانت كفيلة ان تبعث دموعها انهارا ، ولتصب عليها اللعنة لو سمحت بشيء كهذا امامه . كانت امها حساسة لعملها كمديرة منزل . وكانت روكسي تدرك حرجها منذ نعومة اظفارها.

واصبحت اية كلمة ازدراء تثير ثائرتها . وكم اذاها ان يصيبها ذلك الداء في اثناء جنازة امها .

وكان "إيثان" وجده امرا مستهجنا ان يشارك الطقوس مع ابنة مديرة المنزل . واخذت تطرق في عداء بقلمها الرصاص على دباسة ورق ، وهي تتمثل في ذهنها مدى غطرسته .

- "روكسي ؟ " وغمغمت في ضيق :

- " ماذا الآن ؟ "

وادركت بغيظ ان "إيثان" لن يستسلم . ففي اعتقادها انه لم يتعود من احد ان يرفض له طلبا وابتسمت لما تولد في نفسه من مشاعر بإنكارها لوجوده .

ورد "جو" متذمرا :

- إن انني تؤلمانني . وتنهدت

- استمر ..

- لقد صاح زاعقابشيء عن غبائك ، وبانه يجب ان تدركي بعقلك

الفارغ أن لديه أمرا مهما يريد أن يحدثك فيه " .

قالت وقد اشفقت على سكرتيرها المسكين :

- " حسنا ، صله بي " ودار بذهنها فكرة خبيثة وردت بكلمة سوقية:

- " اللوا " كذا تكون لهجة ابنة الخادم !

- " روكس انا ؟ هذه روكسانا بيج ؟ لقد اعطاني محامي هذا الرقم.."

كان صوتا عميقا خافتا ، جعل اصابعها تتقلص قليلا . وقالت وهي تتشدق بلبانة وهمية في فمها ، لتتباين لهجة صوتها تماما مع صوته : " بيه ؟ وماذا تريد انت ؟

ورد بصوت اجش :

- " اريد أن اتحدث إليك "

قالت كاذبة :

- " لا يهمني " وشعرت بالسرور يملأ صدرها .

- ارجوك ، كوني على خلق واستمعي إلي، فلدي اقتراح اريد ان اقوله لك " وكان صوته يبدو كصوت رجل في التسعين من عمره

ووجدت "روكسي" لذة في أن تخرجه عن وقاره بغيظها إياه ، فقالت متمايعة :

- اقتراح ؟ باللوقاحة ! هل تستخف دمك باصطياد البنات بمكالماتك التليفونية ؟

وسمعته يلعن بصوت خفيض ، ثم بدأ يتكلم ببطء ، وكان واضحاً انه ينتقي كلماته بعناية ، متصورا فيها الغباء .

- كلا يا روكسانا ، الأمر ليس كذلك . وانت تعرفينني ، فامك كانت خادما لوالدتي "

وضغط على كلمة "خادم" . والتهبت مشاعرها وشعرت بميل اكبر لإثارته .

ايتوقع منها ان تهب منحنية احتراما له ؟ . إن ذكرى اخته المتانقة وهي تتمتم الفاظ الازدراء ، لا تزال حية في ذاكرتها ، تزيد من فكرتها السيئة حول آل تريمين المتعجرفين .

- " وهذا لا يعطيك الحق في ان تقول اشياء خارجة لي "

وتنفس محاولا كتم غيظه :

- انا لا افعل هذا . لقد اخذت الأمر خطا . هل يمكن ان نتقابل لأخذ الشاي في مكان ما ، فلدي عرض ... "

وصرخت ، متلذذة بشهقة منه وصرختها الحادة تخرق طبلة اذنه :

- اووه ، مستر "تريمين" ! إنك شرير . "

- " اسمعي ، ليس الأمر هكذا . كل ما أريد " هو ... "

- " اعلم ما تريد ، فانتم ايها الرجال كلكم سواء ، لا تسلم منكم خادم"

وسال في شك :

- هل تحاولين غيظي " فردت في حنق :

- " بالضبط "

وكتمت ضحكاتها بصعوبة

وقال في غيظ :

- روكسانا ، من الأهمية بمكان ان تستمتعي إلي ، اعطيني ساعة من وقتك ، قد تكونين بعدها في حياة افضل "

- " اعلم ، بالأفلام الخارجة ، والأوضاع المخلة ، ايها الشيطان المنحل"

وانفجر قائلا :

- " يا الطاف الله ! " وخبط بالسماعة مغلقا الخط .

وهرع إليها "چو" ، وحمد الله انها لم تكن مصابة بالهيستيريا وهي تقهقه قالت وقد انخفض صوتها من شدة الضحك :

- آه يا "چو" ، لم اضحك هكذا منذ عدة اشهر، اخيرا "إيثان" الهرم يهتم بامري "

- إذن فانت موجودة لو طلب مرة اخرى " قالت تتنهد وهي تمسح عينيها وتعيد النظر في زينتها !

- " كلا .إنك ستسحقه لاقتراحاته الفاجرة " .

وابتسم ، فقد سبق له أن تولى عنها ردودا غريبة لرجال آخرين ، وكان هذا بلاشك أشد الردود غرابة .

- " هل ستكون لي مكافاة بتمثيلي دور عشيقك ؟ "

وابتسمت له :

- " لا تفسد الصداقة الطيبة ، وهيا ، فامامنا سفينة تريد القيادة "

وعاد ضاحكا إلى مكتبه ، تاركا إياها متعجبة لسبب طلب "إيثان" لها . ولكنها لم تكن تبالي. فليس فيما يفعله ما يثير اهتمامها .

ولكن ذلك لم يكن صحيحا كلية للأسف . فقد اعترفت انها تخادع نفسها . فهي لا تفتا تفكر فيه منذ الجنازة ، متعجبة كيف فتنها بهذه الصورة . لقد ضايقها بلاشك بسلوكه الشاذ . إنها تعلم تباعده عن والدته ، وانه إنسان مجرد من الأحاسيس ، ولكن لم تتوقع ان يصل إلى هذه الدرجة معها ، كما لم تكن مستعدة لما اثار به فضولها واحاسيسها .

وكان الطقس في ذلك اليوم من ديسمبر شنيعا ، إذ هطلت الأمطار مدرارا ، واحتمى كل إنسان بمظلته ، عدا "إيثان" . لم يبد عليه انه لاحظ تشبع شعره الفاحم المجعد بالماء ، حتى اخذ الماء يتساقط على ياقة معطفه الصوفي الأسود السميك . كان كصخرة صماء ناتئة في الشاطىء رافعا وجهه الصارم في ازدراء والمطر يغسل خطوطه الجرانيتية .

لم يكن وسيما بالمعنى المتعارف عليه . فتقاطيعه خشنة تثير الرعدة في البدن بما تحمله من عداء . كان خافضا حاجبيه طوال الطقوس، وعيناه الخضراوان تبدوان كحقل على البعد .

كان شامخا برأسه وكتفيه فوق الجميع ، وكانت يداه العريضتان مدسوستين في جيبي معطفه ، واخته المتعلقة في ذراعه كبعوضة على قرن ثور . يلكزها بحركة لا تكاد تلحظ حتى لا تزعجه بثرثرتها ، وشعرت روكسي بالأسى لهذه المرأة الهشة التي ليس لها إلا "إيثان" تعتمد عليه ، وهو يثير الكدر في نفسها بتباعده . لم يتحدث إلى أحد، ولم ينظر إلى أحد ، عدا اللمحة الخاطفة التي رماها بها . واعطاها انطباعا عن رجل اختار عن عمد أن يعيش بمعزل عن الناس . لقد كان "إيثان تريمين" اشبه بجزيرة صخرية محصنا عاطفيا ضد الحياة والموت، منغلقا على نفسه ، ومكتفيا بها .

وشكت ان تتمكن من أن تمس شغاف قلبه . فهي تخاله رابضا داخل

القفص الصدري الضخم ينبض في رتابة لا تخرج عن إيقاعها مهما كانت الظروف . وقد تمر به النساء مرور الكرام ، يدخلن ويخرجن دون ادني تاثير على توازنه .

ورغم هذا المظهر الصارم المتجافي ، لم تفتا صورته تطارد خيال روكسي ، تحفزها لأن تتحرش به باية صورة ، لتجبره على الاعتراف بادميتها . لا يعنيها أن مظهره ذاك كان يواجه به الكافة . فهي تريد الناس منفعلين تجاهها، يضحكون أو يجادلون او يغضبون ، المهم أن يبدوارد فعل بها . وكانت تجربة ان تقصى من احد هكذا تجربة جديدة وغير مريحة لها .

لا عجب أن تنجذب النساء إليه ، شان الفراشات حين تنتحر . كان ذلك الصمت المغرق في غرابته يمثل تحديا ! وكانت والدتها هي التي اخبرتها بمغامراته النسائية .

وكان أمرا يصعب على التصديق انه لم يكن يبدي اي مجهود لجذب النساء . فقد احست روكسي بهالة من الجاذبية الجنسية تحيط به ، رغم ما يلتزم به من صمت . ولكنها كانت ترى ان الأمرمعه ليس إلا إشباعا للجسد ، مجردا من اية لمسة عاطفية .

وكانت القرية تموج بالشائعات حول الفتيات و النساء اللاتي وقعن ضحية تلك الجاذبية العاطفية له . إذ تتناثر القلوب المحطمة حوله كقشر البيض ، وهو يابي أن يلين لقلب اية معشوقة له ، مهما حاولت. وتوقفت "روكسي" عن النظر في بريدها اليومي . إن "إيثان" واخته لم يزورا والدتهما حتى في مرضها ، وهاهما ذا يشتركان معا في ميراث ضيعتها المترامية الأرجاء . بينما هي تقنع من والدتها ببعض الصور ، وقطعة او قطعتين من الحلي ، وقليل من الذكريات الغالية .

واغلقت "روكسي" تهنها عن الماضي وقد بللت عيونها الدموع . إن التفكير في الماضي لن يسبب لها إلا الشقاء . وكانت مقدرتها في التحكم في عواطفها قد جنبتها كثيرا من ان تنهار صريعة لها ، وهي تعلم جيدا ان في هذا نوعاً من التسويف ، وانها لا محالة ستواجه نفسها يوما ما . ولكن ليس الآن . فامامها مؤسسة ضخمة تطلب اكبر قدر من التفكير السديد .

وانجزت عملها اليومي في همة وسرعة ، واخذ منها "جو" ما سجلته من خطابات وتعليمات . ثم اتجهت إلى غداء عمل ناجح مع ممولين لمحليها في " مانشستروليدز " .

وقامت بعد ذلك بعدة مشتريات باهظة احتفالا بالمناسبة .. متاثرة في تبذيرها بما يسري في عروقها من نشوة بسبب ما تناولته من شراب .

واستقلت سيارة اجرة اخذتهاإلى مكتبها ، حيث عادت متاخرة ، إلا انها كانت - تحت ما تحمله من اكياس - تكاد تطير من الفرح . لقد انجزت إنجازا رائعا ، تلوح لناظريها،سلسلة من المحال تغطي ارجاء البلاد ... اسم ذائع الصيت ... وحرية تدفعها لان تفعل ما تشاء ، لا يزعجها احد ... يا الله !

واندفعت إلى داخل المحل يدور راسها بما هي فيه من غبطة ، فوقفت على الفور وقد علتها الدهشة لمراى ذلك الاسمر الضخم الذي كان واقفا يحملق إلى البائعات العاملات لديها .

إن الصخرة الناتئة قد وصلت إلى لندن . " إيثان تريمين " !

الفصل الثاني

وقفت روكسي محملقة ، تتهم الشراب بتضليل بصرها ، ولكن الرجل لا يخطئه النظر . كان واقفا وسط الحشد ، ولكن في انغلاقه على نفسه لا يعبا بما يحيط به من هرج ومرج داخل المحل .

ما الذي يفعله هنا ؟ وفي هذه الملابس الانيقة ايضا ! لم تدرك من قبل ذوقه الراقي في الملبس . ام كيف ستبدو اية ملابس انيقة على هذا الجسد الضخم؟

لا شك انه كان يحوز الانتباه الكامل لكل النسوة المتجولات في المحل، وكانه ياخذ جرعة منشطة لغروره كلما نهض في الصباح .

وتوقفت وهي تفك ازرار سترتها في دفء المحل ، حين ادركت ما فعل لقد جاء من كورنوول هذا الصباح ! إذ لا يمكن ان يكون قد تمكن من الحضور من هناك بعد مكالمته لها .

وتصاعد فضولها حول هذا الحرص منه على لقائها - دون ان تبدي ذلك ، حتى لا تجعله يعتقد انها مهتمة بشانه .

كان متكئا على البنك امام البائعة ، يجادلها في عناد :

www.rewity.com

- " لا اصدق انها غير موجودة ؟

وردت الفتاة وقد كلت حيلتها :

- " بل هي غير موجودة بالفعل . "

وانسلت " روكسي " وراء بعض الرفوف المكدسة بالقارورات ، واخذت تراقب المنظر . ولم يكن يبدو سوى ساقيه المغروستين في الأرض .

- " إنها قد اقتربت من الرابعة ، ولا يمكن ان تظل في فترة الغداء كل هذا الوقت ...

- " إن هذا امر غير شاذ بالنسبة لها "

وزمجر قائلا :

- " لا اصدق . إن للعمل مواعيد "

- " إنها هي التي تضع مواعيد عملها بنفسها " فتمتم قائلا :

- " حسنا لا يمكن ان تستمر تحت خدمتي طويلا إذن " .

وعمل عقل روكسي بسرعة البرق . إن هناك إلحاحا منه وإصرارا على الا يتراجع ... ولا بد ان هناك امرا مهما اتي به إلى لندن ليقابلها.

وابتسمت لنفسها . إنها في مظهر المراة التي تحمله اليوم ، لن يتعرف فيها ابدا علي تلك الفتاة المنكسرة التي لمحها تحت هطول المطر، ولم تجد غضاضة في ان تتلاعب برجل مثله بعض الوقت .

ونادت على الفتاة المسكينة :

- " دعي هذا لي يا آن . " إن " إيثان " يثير بعض الاضطراب داخل المحل ، ويجب التخلص منه باسرع ما يمكن

- " آه ، شكرا يا روك .. "

وقاطعتها صائحة بابتهاج ، وهي تقذف بالاكياس في الهواء ، مؤملة الا يكون " إيثان " قد انتبه لاسمها :

- " فساتين ! ثروة من الفساتين ، من الحرير ، وواحد بلون الفراولة، واثنان بلون الزعفران - وواحد قطيفة سوداء . دفعت فيها دم قلبي!" وكان يعبس لها بصورة غريبة . ولكن ملامحه بدات تلين شيئا ما لما ابدت من ابتهاج . وشعرت بزهوة انتصار . ها هو ذا قد اعترف بها اخيرا .

ضحكت البائعة ، واختلست نظرة "لإيثان " ، ثم انصرفت إلى عملها على مضض وكانت قبعتها الحمراء قد انحسرت عن راسها حتى تظهر شعرها الفاحم المتراقص وعيناها الممتلئتان سرورا . لقد كانت تخطط لأمر ما ، وتتلذذ بالتفكير حين يوضع موضع التنفيذ . ولكن "إيثان " لا يدري عنه شيئا ، ويظن ، ككل المغرورين ، ان لسرورها صلة به .

واقبلت نحوه ترفل في ثيابها ، لا تخفي قصد إثارته . وانحنت مستندة علي البنك ، واخذت تصعد بصرها فيه بطريقة مهينة .

يا له من تحد ! ورد عليها بنظرات ملؤها التهكم . احذري يا امراة ، فانا مغرم بالتحدي .

وغمغم "إيثان " بصوت معسول :

- " لقد قمت بمشهد مؤثر عند دخولك ، مبتهجة و متلالئة كفراشة "

وكانت رقة كلماته تخفي لذعة حسية تفوح من جسده القوي . وتعرفت فيه على رجل يعتز برجولته ، وقد كاد يصرع البائعة لولا انه حول انتباهه إليها - ولم تكن تحب منه ذلك ، وقد ان الأوان ان يتلقي درسا سيكون هذا من دواعي سرورها وردت عليه في نعومة :

- إني لا احب الكابة فهل تحبها انت ؟ إن الأيام القائمة فيها الكفاية، ودون ملابس كهذه يقع المرء فريسة الاكتئاب لا محالة "

وكانت تتعمد الا تنظر إلى ملابسه التقليدية المملة ، وإن بدت - وهو الأمر الذي كانت تصر ان ترفضه - تضفي على جاذبيته اكثر مما يفترض لها .

واخذت عيناه المتلذذتان تمسحان جسدها ببطء مركزة على اماكن الارتفاعات والانخفاضات منها . وغمغم قائلا :

- البعض منا يحب ان يزهو امام الجميع بزينته ، والبعض الآخر يفضل الا يكشف نفسه إلا للصفوة المختارة "

واثارهاهذا التقريع منه ، ولكنها رفضت ان تبدي له انه اثارها ، وردت عليه :

- " البعض منا كئيب المنظر ، والبعض الآخر مثير للبهجة " فسالها بخشونة" واي من هاتين الصفتين يناسبني " ؟

وانتابها الشك فجاة ، إن به خبثا لا يكاد يبين ، ولكن ذلك الخبث بدا

مثيرا لها، وهو ما يتعارض تماما مع ما تنتويه

- " في اللحظة الحالية ، انت خارج عن طوعك بصياحك هكذا لموظفتي"

وارتفع حاجباه ، وتساءل :

- "موظفتك ؟"

- نعم ، فانا صاحبة محلات " زست "

- " كذا ! " ثم قال هازئا :

- " وتتناولين منتجاتك على الدوام . فانت تبدين متشبعة بحبوب الصحة " فردت بمرح : - " إني خير دعاية لمحلاتي ، اليس كذلك ؟ " ثم تحولت لهجتها إلى الجد : - " والآن ، ما الذي جعلك تفقد اعصابك هكذا " ؟

ضاقت عيناه واحتدت لهذا التانيب المستتر .

- " إنني ابحث عن روكسانا بيج " . لقد اخذت عنوانها من المحامي الخاص بي ، وقد بدات ؟ اتساءل عن سبب رفضها مقابلتي "

وهتفت في دهشة :

- " مستحيل إن اية فتاة سيلعب راسها لذلك " .

وعبس . فادركت انها تجاوزت حدها فعادت إلى الجد .

" ولكن يبدو انها لم تعد . فالبعض لا يحترمون مواعيد العمل كما يجب ، اليس كذلك ؟

هيا معي إلي مكان ننتظرها فيه يا مستر .. "

- " تريمين ، اسم من بلدة " كورنوول " ومد لها يدا ضخمة ، واثقة .

وقالت لنفسها . لطيف جدا . إنه يستخدم عينيه كثيرا ، ولا عجب ان تصطف النساء من اجله . وتركزت نظرته على عينيها بثبات عدة ثوان ، وانتاب روكسانا الذعر لما شعرت به من جفاف في حلقها.

لقد بدا كما لو كان عقلها النشيط وجسدها سريعي الحركة قد كبحا بمكبح قوي تحت تاثير عينيه ، وبدات تشعر بنوع من السلام الداخلي اخذت تقاوم سحره، فالسلام هو عدو الانطلاق والمباداة . وبدا عقلها يستعيد نشاطه . وابتسمت في داخلها

- " من كورنوول " يا للطرافة . اليست هذه بلد الجنيات وعجائن

اللحم ؟"

وابتهجت لما بدا عليه من غيظ وهي تحقر من شان بلدته العريقة بكلمات قليلة متهكمة ، ورمته بابتسامة من ابتساماتها الساحرة لتعوضه عن ذلك ، تاركة رموشها الكثة ترتعش قليلا . إنها ستتركه هكذا معلقا إلى ان تعرف الغرض من مجيئه .

- " إن لدي مكتبا في الطابق الأعلى ، يمكنك ان تنتظر فيه ، وتقص لي موضوع الآنسة بيج وانت على راحتك " .

وقال بصوت به بحة :

- " اري ذلك امرا طيبا " .

وعبست ، فقد ظلت عيناه تهزان بها . فلماذا ؟ وسارا معا ، وهو مقترب منها إلى ان كاد جسداهما يحتكان ببعضهما . وشعرت بملابسها الداخلية من الساتان تحتك بجسدها ، واضطرب تنفسها قليلا لهذا الإحساس . ورات انه يتعمد ان يقترب منها اكثر واكثر ، حتى اضطرت إلى ان تلتصق بدرابزين السلم .

وبدا لها التناقض البين بين نعومة ملابسه الانيقة ، والجسدالصلب المتين العضلات تحتها . واصابتها العصبية ، خصوصا وانها لم تكن لتسمح لرجل ان يقترب منها بهذه الدرجة لمجرد تعارف عادي. إلا انها رات انه من المنطق ان تتركه على حريته إلى ان تتمكن منه .

ومديده ليحيط بها ظهرها بحجة تقديمها امامه ، فانقبض عمودها الفقاري قليلا .

إنه يقوم بلعبة ما معها ، مافي ذلك شك . وملاها السرور كيف ان "إيثان تريمين " الأرستقراطي قد وقع في حبائل ابنة الخادم .

وقال في صوت عميق :

- فتاتك هذه الآنسة "بيج" ، هل ستعود سريعا ؟ "

وردت في براءة ، واعية لنظراته عليها :

- " إنك محظوظ اليوم ، فـ"روكسانا" معروف عنها انها لا تحضر دائما بعد الظهر . ولكنني متاكدة انها لن تلعب هذه اللعبة اليوم "

- " احقا ؟ يالها من فتاة مسببة للإزعاج لك . بل لكلينا " .

- " اوه ، ولماذا ؟ "

وهز كتفيه :

- لقد سمعت عنها شائعات شنيعة " ثم سالها بنظرة بريئة :

- " الم تسمعيها انت ؟ "

وردت بقلق : نعم مثل ماذا ؟ إنه لن يعلم عنها شيئا إلا من خلال خطابات والدتها ، ولم يكن فيها شيء بالمرة .

ومط شفتيه ، وقال واجماً

- " لا يمكنني أن أردد الشائعات . "

وودت لو تبطش به فقد كانت متحرقة إلى المعرفة . ورات ان من الافضل ان تكسب ثقته . فقد يسر إليها بما لا تعرف . ولمست ذراعه مقبلة عليه .

وقالت له بلهجة منخفضة :

- " لا يمكن ان تلوم البنت ، فهي لم تحصل على قسط من التربية "

وهبط حاجباه في عبوس . وفاح عبيرها في الجو المحيط بهما . واحست باهتمامه بها يتصاعد ، واشعت عيناه الخضراوان بدفء تسلل إلى عقلها وجسدها وغمغم :

- " إنك لم تعطيني اسمك بعد "

ومطت فمها ورمقته بنظرة كلها دلال . وكانت تشعر في داخلها بجوار "إيثان" بنوع من التفاهة ، وهو على ما هو عليه من جد وتحكم في النفس . وهما خاصيتان لم تحسد عليهما احداً من قبل ، بل كانت تشعر بالرثاء لمن لا يضحكون كثيرا ، فهي تتمتع بحياتها حتى الثمالة ولكنها شعرت فجاة بالرغبة في الرزانة والعمق ، بدلا من الاندفاع الذي قد يصل إلى حد المجون .

واشرقت ابتسامتها :

- " اسمي انا "

وتشكلت شفتاه ببطء في ابتسامة ، واحست فجاة - لفرط دهشتها أن ذلك التعديل في ملامح وجهه قد بعث الدفء في اعماق جسدها . ولم يكن الرجال يثيرونها بسهولة عادة . ولكن ان يحدث هذا لمجرد ابتسامة او كما بدا لها، لم يكن "إيثان" ممن يبتسمون كثيرا ،

واحست بنوع من ارتفاع المكانة أن توهب واحدة من ابتساماته .

ياللسخف ، اتنجح تلك الابتسامة الماكرة في ان تسكر عقلها هكذا ؟ .

وهزت راسها منفعلة ، واستعادت رباطة جاشها ، رافضة ان تقع تحت تاثير مغناطيسيته . لا معنى ان تركع تحت قدمي ذلك الرجل لمجرد انه ابتسم .

وقال يستحثها :

- " نعم اسمك "

وعادت إليها نزعتها الشريرة للفكاهة : -" اه ، يا عيني .. . إنه غاية في الرسمية " . ثم تمثلت الجد :

- " يمكنك ان تدعوني ..." وتقطعت انفاسها ، ورموشها تتلاعب في دلال : -" ..... عفريتة ! "

وتقلصت عضلة في فكه ، وتساءلت إن كانت قد تجاوزت حدها مرة اخرى ... وبصعوبة كتمت ضحكتها واسرعت تسبقه قليلا على السلم، متعمدة شيئا من الشقاوة تتناسب مع ما اطلقته على نفسها ، ونسيت في فورتها نفسها ، وتلاعب ردفاها كعادتها حين تسير بالكعب العالي، وكان هذا اكثر مما يحتمل وامسكت يد قوية بها ، فدارت بسرعة لم تتمكن معها من مقاومته وهو يجذبها إليه

- "قلت عفريته ؟ " إن لك مقدرة على إثارة الرجل ، وقد قبلت تحديك ولا تنسي انك البادئة فيه "

وانقض عليها بفمه ، وشعرت بجسدها ينصهر وهي تستسلم قبل ان يعي عقلها هذه الخيانة من جسدها .

وغمغم " - " يالها من مفاجاة "

- إياك ان ... "

واقتضبت تحذيرها بانقضاض جديد من شفتيه ، فكيف ستتعامل مع هذا الوضع ، ومع هذه اللذة التي دبت فيها ؟ ، الامن منقذ ينقذها!؟

وغمغم : - " ايتها العفريتة الصغيرة "

وبدا عقلها المخدر يتيقظ ، وبدات شفتاها تتمكنان من الحركة ، فسالته :

- " هل تنوي ان تهاجم مس بيج بهذه الطريقة ؟ "

وابتسم :

- " لو كانت على شاكلتك ..ربما "

وارتفع صوتها قليلا :

- " الم ترها بعد إذن ؟ " قال ولا يزال السرور يتملكه كما لو كان يتمتع بفكاهة ما ، الأمر الذي ضايقها كثيرا :

- " مجرد لمحة ، وكانت تبدو كمتسولة "

وتوردت وجنتاها ، فلم تكن زرية المنظر بهذه الدرجة . وقالت بابتسامة باردة - " يمكنك ان تترك معي رسالتك لها ، وتنصرف "

- " اغاضبة انت ؟ لقد كان علي ان اثبتك لحظة حتى لا تطيري من امامي لفرط ما كنت فيه من نشوة ، ولم يكن لأي رجل ان يقاوم هذا "

ووجدت انها قد احيط بها من اكثر من ناحية . فطبقا للدور الذي لعبته ، عليها ان تتظاهر بانها لا تهتم بقبلة عابرة . ولم تكن قد حصلت على اية معلومة منه بعد . ولوحت بيدها اعترافا باحتمال صدق ملحوظته ، وهي تشعر دون ان تعبر - انها على قمة العالم .

كان المفروض ان تغضب ، ولكن غضبها كان لما حدث من هبوط في طاقتها بسبب قبلته .

ومن واقع هذه التجربة الأخيرة ، فإن "إيثان" كان خطرا ، إنه ياخذ ما يريد بمجرد ان يتاح له .

والآن هو يريدها هي .

ومع ذلك ، كانت تعلم كيف تتعامل معه - لقد نال منها على حين غرة، ولكن الأمور وإن صعبت ، فإنها لم تعد مستحيلة . ودقت على صدره كما لو كان ولداشقيا ، ثم هربت من قبضته واتجهت إلى جناح مكتبها وهو في عقبها ، يرتفع شعرها من خلف للفح انفاسه . واضاف ذلك وقودا للنار المشتعلة داخلها لقد كان امرا مزعجا . إنها ارادت ان تصطاده ، فإذا بها تشد إليه ايضا . ولو كان لديها اية حصافة لما دخلت في جولة غزل معه ، فقد كانت شهرته كفيلة بان تحذرها بانه ليس محتاجا إلى اي تشجيع .

وخطر لها انه قد اهتز ايضا لتلك القبلة . وربما كان هذا اسلوباً منه يتبعه مع كل النساء ، ان يوهم الواحدة بانها قد نجحت في كسر

جموده ، وإذابة قلبه الجليدي وقال برقة : - " يجب ان تكوني اكثر حرصا وانت تبعثرين إثارتك ذات اليمين وذات الشمال .

قالت مدافعة : - " إني أجد عذري في حالتي فيما تجرعت من شراب لقد كنت في غداء رائع في فندق سافوي ، لمناقشة " توسيع نشاطي "

قال ماخوذا : - هل تريد ان تفهميني بان مادار بيننا توا كان بسبب الشراب والعمل ؟ هل يمثل لك العمل كل هذه الإثارة " ؟

وحاولت الا تقهقه ضاحكة : اوه ، بالتاكيد يا " مسترتريمين "

وتعمدت ان تضغط على اسمه وهما داخلان مكتبها . واتسعت عينا "چو" دهشة :

- " إنه اكثر الأمور إثارة في العالم بالنسبة لي "

- " ولا اعتقدان ذلك يروق لعشاقك " .

- " ومن الذي يكون في حاجة إلى الرجال ، حين يكون النجاح اخذا باللب ؟ " وقصدت بذلك ان تثير ثائرته ، عالمة بانه سيكره ان يزاح الرجال من جنسه إلى درجة ادنى في حياة امراة .

قال بنغمة مغرية :

- " اعتقد ان الرجال هنا قد اعطوك فكرة سيئة عن جنس الذكور .

وانا على استعداد ان اغير هذه الفكرة لديك بكل سرور."

واحست "روكسي" بشيء كرنين الفولاذ في نبرة صوته ، وشدها عن الموقف سعال من "چو" وهو يرتب ما امامه من اوراق في براءة .

واخذت رد فعل "إيثان" على انه متوقع من رجل معتز برجولته مثله .

والقت بقبعتها على الأريكة ، وهزت راسها لتحرر شعرها وخلعت معطفها بحركة راقصات الاستربتيز ، و كوفئت على ذلك بزفرة حارة من "إيثان" .

واتجهت إلى "چو" بالحديث ، شاعرة بانها جمعت الأوراق في يدها مرة اخري - "چو" مستر "تريمين" يريد ان يتحدث إلى إحدى العاملات لدينا . تلك الرعناء المدعوة "روكسانا" بيج " وسددت نظرها لـ"چو" ، ولكنه كان قد فهمها على التو فلم يبد اي دهشة ، متعودا مثل هذه الالاعيب منها وقال :

- " آه ، تلك الحمقاء المغرورة "

ولمعت عيناها . وانبا بريقهما "جو" انها سوف تحاسبه على ذلك فيما بعد وقال :

- " هل ... تريدين مني ان انادي عليها في النداء الداخلي ؟

فرد "إيثان" في شيء من الحدة - " كلا ، لا تفعل ذلك الآن واحست "روكسي" انه غاضب لامرما . ودفعها "إيثان" امامه كما لو كانت حيوانا مذعورا ، وقد توتر جسدها إحساسا بالخطر - وابتسم ابتسامة ملأت جسدها بالرعدة .

- " لا داعي للعجلة ، فانا والعفريتة ... "

اخفى ..." جو" انفجاره بالضحك ببعثرة بعض الأوراق على الأرض، والانحناء لجمعها.

وقالت "روكسي" متنهدة :

- " هؤلاء الموظفون غير معقولين اليوم ."

واشارت إليه بالدخول إلى مكتبها ، ثم دفعت به إلى احد المقاعد ، متجاهلة شهقته لديكور المكتب الذي ياخذ بلب من ليس معتادا على الالوان البهيجة في رايها .

وقالت في مرح :

- كثيرا ما يضرب الرجال اخماسا في اسداس في اثناء عملهم "

وحرك إيثان عينيه بين اريكة برتقالية ووسائد قرمزية او حمراء قانية ، واحست بصورة غامضة ان ابتسامته الساخرة ليست موجهة لذوقها الغريب في اختيار الالوان .

-اعتقد ان ذلك الموظف قد دهش لاسمك المستعار "

وتوردت وجنتاها ، وانحنت لتخفي ذلك على مقعد ترتب عليه مشترياتها . وقالت .

- " إنه سكرتيري الخاص " فسال في دهشة :

- اتتخذين رجلا سكرتيرا ؟ "

- ولم لا؟

- اليس ذلك انسب للنساء " ؟

ولاح في هذه المرة تقلص في زاوية من فمه ، وعلمت بغريزتها انه لم يعجبه هذا الحط من قدر جنسه من الرجال . ولم يكن ذلك من عاداتها ،

ولكن إيثان قد استفزها مما دفعها ان تعاني في لعبتها .

ورد بوقاحة : - " هذا يتوقف على الأسلوب الذي تفضلينه لقضاء فترات الراحة . "

ورمقته بنظرة باردة ، وهي تغلي في داخلها . من الواضح انه يقف موقفا عدائيا ضد استقلال المراة .

وبدلا من ان تتجه إلى مكتبها ، اتخذت لنفسها مجلسا قبالته ، لتتمكن منه بصورة افضل . ولكنه رد كيدها إلى نحرها ، إذ اخذ يخترقها بنظراته ماسحا بها جسدها كما لو كانت يداه هما اللتان تقومان بذلك . ودون قصد منها لعقت زاوية فمها المخضب بالالوان الصارخة.

وتراجع هو في جلسته سالبا منها لبها .

وسالها منغما نبرة صوته ببطء : هل ستقومين بعرض ازياء خاص لي"

وتملكتها العصبية بصورة غير طبيعية . إنه بالكاد يعرفها ، وها هوذا ينهال عليها بتلميحاته . والغريب ان تشعر بارتياح نفسي لذلك .

وكانت تعلم باسى انه ليس بالذي يضيع وقته هباء في دردشة فارغة مع امراة . وان قبلته لم تكن إلا بداية عملية إخضاع كامل لها لرغباته.

وسالته بنعومة :

- " غريب ان يكون لرجل كل هذا الاهتمام بالملابس "

وبدت عيناه كالمغمضتين ، وفمه حار رطب، ورد بخشونة : -" ليس اهتمامي بالملابس النسائية ، ولكن بما تضمه تحتها .

وبحركة غبية مضحكة ، وضعت يديها على صدرها في ذعر . واصابها الارتباك حين استعصى عليها ان تفصل بين ماتريده عن وعي، وبين رغبات اللاوعي فيها . فهي تريد ان تستدرجه لتحصل منه على المعلومات اللازمة وصدمتها تلك المشاعر المشوشة منها ، إذ رات انها - وعلى الرغم من ثقتها المبالغ فيها بنفسها - قد بدات تستجيب له شان اية امراة سبق له ان داعبها . وشعرت بمرارة حقيقية لهذا . ومع ذلك ، قررت الا تعبر له عن شعورها إزاء تلك الوقاحة منه - ليس بعد.

وقالت بلهجة لاذعة :

- إنك لن تخرجني منها بسهولة "

كم سيكون الأمر مسليا حين يعلم من هي ! وأن من كان يغازلها لم تكن سوى ابنة الخادم .

وقال بصوت به بحة :

- " علي إذن أن أبذل المزيد من الجهد . ما رأيك في العشاء أولا " .

واتسعت عيناها الزرقاوان وهي تكرر وراءه :

- العشاء ... أولا ؟ يالك من رجل صبور " .

وتقلص فكه وبدا التحدي واضحا في عينيه ، وغمغم :

- " لقد طلبت أنت المشاكل ، وساعمل على أن تحصلي عليها . "

وأسرعت إلى مكتبها ، وأدارت جهاز الاتصال الداخلي ، وقد أزعجها منه ذلك التحدي الذي صعب عليها أن تدرك مداه . وطلبت بسرعة :

- " چو" ، استدع الآنسة "بيج" حالاً فرد عليها :

- إذا كنت ترين أن المحاولة مجدية ! "

أما "إيثان" فقد قال وهو مستمر في تسديد نظراته التهديدية :

- لست في عجلة لأن تضم هذه الغرفة غيرنا ، فيسرني أن أظل في برجك العالي هذا ، أراقبك وأنت تتنفسين . انتبهت روكسي لما أصاب تنفسها من اضطراب حتى ضاق صدرها لذلك . وانقذها "چو" بصوته:

- لا توجد الآنسة "بيج" في أي مكان . "

وقالت وهي تحاول تنظيف حلقها مما يعوق صوتها :

- " حاول أكثر " . ثم التفتت لـ"إيثان" : والآن ، ألا تفصح عن سبب سؤالك عنها . أأنت صديقها مثلا ؟ "

وتقلصت شفتاه ازدراء وقال :

- رباه ، كلا . أحسني الظن بذوقي . إنه أمر متعلق بالعمل "

وسألته برقة : أي عمل ؟ إذا كان على ذلك القدر من الأهمية ، فسنكثف محاولاتنا في البحث عنها ، فهي دائمة الزوغان كما ترى "

- " لاداعي ، إذ يمكنني أن أراها غدا . فسوف أقضي هذه الليلة في لندن لبعض شؤوني ، وعندي رغبة ملحة في أن تتناولي معي العشاء الليلة ، فما قولك؟

وأصابتها الحيرة أكثر . ما الذي يريده السيد" تريمين " ذو الحسب والنسب من الفتاة الصغيرة" روكسانا" ، ذات الأصل المتواضع .

وقالت معترضة :

- إنني أعمل إلى ساعة متأخرة عادة " فهز كتفيه :

- " إذن فلنتناول عشاءنا في ساعة متأخرة . فأنت تستحقين أن ينتظرك المرء " ثم مال بجسده تجاهها : - " إنني أجد سحرا في موقعك هذا "

- أتقصد ما أحققه من نجاح ، وما تحت سيطرتي من محال ؟

ثم رمقته بابتسامة خبيثة : " ومن نساء ..." واتسعت ابتسامتها : " ومن رجال "

ورماها بنظرة شك ، ولكنها حافظت على لطف ملامحها ، حتى وهي تواجه عينيه الباردتين وابتسم فجأة ، وأخذت الحيرة تلعب بلب "روكسي" . أتراه قد اكتشف أمرها ؟ كيف وهي لم تظهر أية بادرة تربطها بتلك الفتاة التي رآها منذ ثلاثة أشهر. وقال هو :

- " بل الموقف أن أبحث عن "روكسانا" ، فأجدك أنت ، خصما عنيدا يدفعني إلى أن أعرف عنك المزيد . "

وكانت توشك أن تسأل ماذا يقصد لولا أزيزجهاز چو .

- " أسف للإزعاج . لم أترك مكانا أبحث فيه عن الآنسة "بيج" عدا مكتبك هذا .

- هل يمكن أن أراك لحظة ، فلدي مشكلة هنا . "

ورمت" إيثان "بابتسامة اعتذار ، وخرجت تزفر بالراحة ، وأغلقت الباب وراءها.

وسألها "چو" ثائرا :

- " ما معني هذه اللعبة ؟ وكم سيطول أمرها ؟ " فردت هامسة : .

" إلي أن أعلم بغيته . آسفة يا چو ، ولكني أشعر أن وراءه أمرا ما ."

وغمغم چو :

- " إذن فاحذري ، فإني أراك بدأت تغرمين به "

- " هراء " ورن جرس الهاتف ، فرفعت السماعة :

- " من ؟ بنها ليجون ؟ ... نعم أتذكرك . أنت المحامي من كورنوول

كلا ربما لا ولكن لماذا ؟ ... رباه أحقا ما تقول .. اعذرني دقيقة "

وغطت مرسل الميكروفون بيدها ، وهمست لـ"چو" : " هل يمكن أن اتوجه يوم الاثنين إلى كورنوول ؟ "

وراجع الرجل مفكرته ثم قال :

- " ممكن إذا تخليت عن موعدك الخاص بافتتاح فرع بريستول ، وموعدك مع مصممة الديكور لمسكنك ، و ... " ورفعت يدها عن البوق ثم قالت:

- " أوكي .. ساكون لديكم في العاشرة صباحا إلى اللقاء ".

وسألها وقد بدأت تغرق في التفكير :

- " ما هذا كله ؟ "

- " لقد حددوا موعدا لقراءة وصية السيدة "تريمين" ، ويريدون أن اكون حاضرة في المجلس ".

- " أوه ، إنك تمزحين . إن هذا في قصص الأفلام فقط "

- " وليس في كورنوول ؟ إن المحامي يقول : إن العائلة ستجتمع لذلك ، فلماذا يريدني في تلك الجلسة ؟ أتعتقد أن السيدة تريمين قد أوصت لي بشيء ؟ لقد كانت أمي تقول إنني كنت أبعث البهجة في حياة السيدة العجوز . على حد قولها - بخطاباتي وما فيها من دردشة مرحة . إذن فهذا سر زيارته ! يريد أن يبعدني عما عساه يكون من حقي " الأفاق ! "

- " وماذا ستفعلين ؟ "

- " سافرغه من كل ما يدور في عقله الشرير ، وسوف أهزمه في لعبته . وستكون هذه الليلة ليلة مثيرة . وحذرها "چو" بقلق :

- إنه ...التحدي .. إنه التحدي . إحذري لنفسك " فقالت وهي تلتهب بالإثارة - " چو" ، سوف أرتدي أفضل ما عندي ، وأستخدم أفضل أساليبي ، وإنه لمتشوق بالفعل "

وشعرت بشيء من التوجس ، إذإن "إيثان" كان لديه نفس الفكرة تجاهها .

- " وإذا ما قام بمحاولة أخرى لنقل أحمرشفاهك إلى فمه ؟ " وكان سؤال "چو" يفيض بالبراءة . فاشتعل خداها : - " لقد كانت ....

آه .. حركة مبكرة من جهتك ؟ " فردت بحدة :

- " بل مصادفة "

همهم من تلك المصادفات القاتلة " - " ولكنني له " . ورماها "چو" بنظرة ذات مغزي فنادت قائلة :

- حسنا ، إنك على حق . إنه غاية في الخطورة ، ولن أدعوه إلى مسكني . سنتناول عشاء رومانسيا ، وتحت الأضواء الخافتة مع الشراب اللذيذ ، سيبوح لي بما عنده "

وهز چو كتفيه ، يبدو عليه الشك . ونظرت متوترة إلى الباب الذي كان "إيثان" قابعا خلفه . وسرت في بدنها رعشة من الإثارة قبل أن تدخل . إن "چو" على حق . لقد أبدى "إيثان" كل مظاهر الثقة بالنفس . متأكدا أنه سوف ينال بغيته منها تلك الليلة .. مع استخدام القوة إذا لزم الأمر . وإن عليها أن تنجح في استخلاص المعلومات منه قبل أن يتطور الأمر .

ونصحت نفسها بأكبر قدر من التعقل . فمرحها لن يخدمها هذه المرة . وبدت لنفسها كفتاة تذهب إلى أول موعد غرامي لها ، وساعها ذلك .

وخللت شعرها بأصابعها في حركة أنثوية ، واجتازت الباب ، واعية تماما لامتقاع وجهها ، واضطراب ساقيها .

الفصل الثالث

دخلت "روكسي" الغرفة راسمة ابتسامة مشرقة على وجهها ، ذوت قليلا عند رؤية "إيثان" وهو يذرع الغرفة جيئة وذهابا . وتوقف ساكنا لدخولها ، داسا يديه في جيبي جاكتته بصورة ترجمتها إما تحديا او تحذيرا ، واسبلت جفنيها قليلا معجبة على كره منها بقوته الجسدية . وكانت تدرك أن وقفته تلك كانت عن عمد ، ليؤكد اعتداده بنفسه . وشعرت بشيء من الضيق لتصرفه ذاك ، فبدات تتحرك عبر الغرفة ولكنه اعترض طريقها بنظرة متفحصة ، وقد امسك بذراعها في قوة .

وقال بصوت فيه بحة :

- " لا اريد ان آخذ من وقتك اكثر من هذا ، كما ان لدي امورا تشغلني ساحجز منضدة في مكان هادئ في الثامنة . من اين احضر لاصطحابك ؟ "

- " هادئ ؟ "

- نعم ، هادئ "

وقفز قلبها في حلقها . إن التعامل مع "إيثان" على هذه الصورة نوع من الانتحار ، بما يروق لها . وردت ببرود :

- " الثامنة مناسب . شارع وارف ريتش ، رقم ١٠ "

وغمغم بصوت يحمل شيئا من الرعشة :

- " يجب ان انصرف الآن " . وهزت راسها غير قادرة على الكلام . وتحرك إلى الباب ، وما إن وصل إليه حتى استدار عابسا . موجها لها نظرة لا تعرف الشفقة ، رات فيهما ما يدور بداخلها من اضطراب ، ورغبة .

وقال وهو يتنفس بصعوبة :

- " إني اريدك . وانت تعرفين ذلك . وتبادليننى نفس الشعور ولم نكد نتعرف على بعضنا . فلماذا ؟ "

واخذت تتململ لتبعد نفسها عن المجال الذي يشدهما دون هوادة ، حتى لا تفقد سيطرتها على الموقف . وقالت :

- " مجرد نشاط زائد للهورمونات على ما اعتقد "

حملق إليها وقال بنعومة :

- " لا تحاولي الهرب مني ، فلن اسمح لك بذلك ، ولن اهدأ حتى نشبع ما نحس به من جوع "

- " جوع ؟ إننا ذاهبان إلى العشاء من أجل ذلك "

واصابها الهلع حين خطا إليها ضاغطا على اسنانه ، والصقها بالجدار، ثم سحقها فيه بجسده بلا شفقة ، وغمغم :

- " هل عدت إلى غيطي. يجب أن تكوني اكثر حرصا . "

وهمست وهي تشعر بنفسها تتخاذل :

- " ايها الوحش ، اتركني " قال :

- " قولي كلاما اكثر إقناعاً " .

وكاد الدم يقفز من وجنتيها ، وقالت :

- لا لقد غيرت رايي .

ولا اريد ان اذهب إلى العشاء "

قال :

- " ولا انا . ولكن ذلك نوع من الطقوس جرى بها العرف . فلنحافظ

عليه " صدمت لهذه الوقاحة منه وقالت :

- " كلا ... " واسكتتها شفتاه عن الكلام . واخترق جسدها الم كالسكاكين الحادة . وحاولت الكلام ، فإذا بها تطلق انيناً على الرغم منها .

واستجمعت كل عزيمتها ، مصممة الا تدعه يكسب . وغمغمت : " إيثان " ، إنني آمرك .

مري كما تشائين ، فلن اهتم . " وضمت شفتيها قائلة :

- " لا يمكن أن تتجاهلني هكذا " قال :

- " انا لا اتجاهلك هكذا . واكتسحها شعور بالخجل . فغمغمت وهي كالمخدرة ، مسلوبة الحيلة :

- " قد يدخل "چو " في اية لحظة " .

قال وهو يرسلها :

- " ارجوان تكوني قد شعرت بالجوع الآن " وانصرف . ومدت يدها تمسك بالمكتب ، شاعرة بالذعر لهذه الوحشية ، والرعب لتلك الجانبية.

وشعرت كما لو كانت قد اكتسحتها عاصفة هوجاء .

ومدت يدها إلى جهاز الاتصال

- " لا مكالمات يا چو . كانت الرعشة واضحة في صوتها وسالها :

- " هل انت بخير ؟ " قالت :

- " بعض الصداع من اثر الشراب . "

فرد بلا تعاطف :

- " آه ، صداع الشراب . هنيئا لك بذكائك " .

والقت بنفسها على اريكة ، ونزعت حذاءها ثم تكورت عليها ، متناقضة تماما مع تلك المراة التي كانت متهللة في الصباح . متجهمة، وممتقعة اللون .

إنها كلما حاولت ان تركزعلى ما ستساله عنه ، شطح خيالها إلى نواياه تجاهها .

متصورة مصيرها معه ، وقد استطاع ان يحيلها إلى كتلة ملقاة على الأريكة تتملكها الرعدة ، والرغبة . وعضت شفتها . لقد انفجرت خطتها في وجهها ، ولكنها لن تستسلم . إن عليها ان تنجح باية

طريقة . كل ما يجب عليها عمله هو ان تنكب على عملها ، صارفة ذهنها عما يحتمل ان يفعله او لا يفعله ، والا يغيب عن ذهنها انه لا يبغي منها سوى متعة ليلة واحدة .

واخذت تشحن نفسها ضده لتصرف عن ذهنها اية رغبة مهما كانت واهية .

حتى لا ينتهي بها الامر كضحية لنزوات "إيثان " . بدا الإصرار في عينيها حملقة ملتهبة .

إنها سوف تشكره بعد تناول العشاء وتدعه يصعق لتلك الغنيمة التافهة على ما بذل من جهد ورفعت هذه الفكرة من معنوياتها ، فلاشيء سيسعدهااكثر من ان تعطيه درسا بانه ليس من لا تقاوم رغباته .

وظلت في العمل اكثر تاخيرا مما كانت تنوي ؛ وانزلتها سيارة الأجرة في السابعة والنصف امام مسكنها ، ومع ذلك ، فقد كان الوقت كافيا لتاخذ حمامها ، وتبدل ثيابها .

كانت وهي في طريقها إلي المسكن تعمل ذهنها مستعرضة الثياب في دولابها ، لتقرر ما سوف ترتديه . ولم تكن قد وصلت إلى قرارها بعد ، اتكون باردة ، ام مثيرة ؟ هل تكون فتاة متكلفة ، ام قنبلة موقوتة؟

وفي المدخل ، شعرت بشك حول وقع الاقدام خلفها ، فنظرت وراءها فوجدت رجلين يتبعانها وكان لواحد منهما ابتسامة شريرة . واسرعت صاعدة السلم ، فاسرعا ايضا وانتابها الذعر لأن تواجه العنف منهما . فادخلت يدها في حقيبتها لتخرج جهاز الاستغاثة

وسمعت السؤال خلفها :

- " هل انت ذاهبة إلى مسكنك يا عزيزتي ؟ " فصرخت وهي توجه الجهاز في وجهه :

- " نعم " وافزعتها الصرخة التي انبعثت من الجهاز كما افزعتهما. وانطلقت باقصى سرعتهافاصطدمت بحائط من اللحم و العظام .

واخذت تصرخ وهي تدق بعنف على ذلك الصدر الفولاذي ، وما لبث ان احاط بها ذراعان قويان ، صوت "إيثان " يقول : -" لا تراعي ، إنه انا

لقد فر الرجلان . "

وشهقت قائلة :

- " اوه ، شكرا لله " وتخاذلت في وهن وراحة ، ممنونة لهذه القوة التي حمتها ، ومستمتعة بها ايضا .

وبدات ابواب السكان تتفتح على إثر صوت الجهاز ، وخرجوا يتساءلون عن الأمر ، بينما اخذت الصرخة المتقطعة النكراء تذوي شيئا فشيئا ، إلى ان سكنت اخيرا .

توجهت "روكسي" بالشكر والتاسف لجيرانها . وقال اقرب الجيران لها مبتسما ، وكان طيارا واعدته ذات مرة :

- " بالتاكيد ستكون انت . هل يعرف رفيقك هذا ما الذي اوقع نفسه فيه ؟

وقال "إيثان " ثائراً " : افتحي الباب ، فانا اكره العروض الجماهيرية"

اخرجت مفاتحها وهي لا تزال تحت تاثير الرعب ، ولم يكن إلا حين وجدت نفسها مع "إيثان " في الصالة ان تساءلت لماذا ادخلته معها مسكنها وما الذي جاء به مبكرا هكذا "

وسالها : -" هل انت بخير الآن " فردت كاذبة ببرود : "بالتاكيد "

وتطلع في المكان ، ثم صاح في دهشة : -" يا للشيطان ايمكنك فعلا ان تعيشي وسط هذا اللون " وكان يشير إلى الستائرذات اللون الأصفر الصارخ

قالت بلهجة دفاعية : " إنه لون بهيج " واحست انها توشك ان تنفجر بالبكاء . لو وجه اي نقد لها في لحظتها تلك . لقد كانت لا تزال تحت تاثير الصدمة .

وسال متعجبا : -" اهو كذلك ؟ "

ودار ببصره في الصالة الرحبة ، الستائر النازلة في طيات مبالغ فيها ، والأرضية السوداء اللامعة ، والاثاث بلون الكروم اللامع الذي تنعكس عليه اضواء الشموع المتناثرة في الصالة . او تتكسر عليه اشعة الشمس بالوان الطيف البهيجة . وكان المكان فوضى عارمة ، فلم يكن لديها وقت لترتيبه . وقال : " إنك سيدة ديكور اكثر منك ربة

منزل."

- " بل سيدة اعمال . رباه . لابد ان اجلس قليلا . "

- " إذن فلست بالقوة التي تحاولين إظهار نفسك بها . "

وبدا وكانه يقبل على تهدئة روعها ، وكان هذا آخر شيء تريده . لقد اكتسب فرصة ضدها . وكانت تفضل ان تصرخ في وجهها ، على ان تتعلق برقبته ، وتسند راسها على صدره الضخم ، ثم لا تدري ماذا يكون بعد ذلك ؟

وقالت له في انتحاب متهيج : -" لا تقترب مني ، فانا على حافة الانهيار . لقد قضيت يوما شاقاً ، واهاج هذان الرجلان اعصابي ، واهاجني اكثر ، ذلك الصراخ من هذا الجهاز .

كيف حشدوا كل هذه الضوضاء في هذا الجهاز ؟ ثم ياتي على راس هذا كله مجيئك مبكرا .

إنني محتاجة إلى خلوة الآن ، لكي اهديء نفسي "

قال بهدوء : -" سيكون امامك الليل بطوله . فقد جئت لاعتذر عن الموعد ، إذ لا بد من عودتي الليلة . "

وشعرت بومضة من خيبة الأمل ، و مع ذلك قالت :

- " لا عليك ، فلدي تلال من الأعمال "

- " كذا ؟ ولكن لهجتك ينقصها الثقة . آسف ، ولكنني افضل البقاء بجوارك على السفر الليلة "وسرتها لهجة الإخلاص في صوته ثم تذكرت فجاة انها لم تعرف بعد لماذا كان يبحث عنها . وهو اهم موضوع تود ان تعرفه .

وسالت في التو : -" وماذا عن الآنسة "بيج " ، لقد كنت ستقابلها غدا " فرد مترددا :

- اعلم . ما مدى علاقتك بها ؟ " فردت بكل حرص :

- " كصاحبة المحل ، يكون علي احيانا ان انبهها لواجباتها ، وبان تاخذ الأمر بجد ، وتتقبله مني عن طيب خاطر "

قال وفمه يتقلص في خبث :

- " انا متاكد من انها تفعل ذلك . اخبريها إذن اني سوف ارسل لها خطابا بالموضوع " .

وسارعت بالاقتراح عليه في إلحاح مستميت :

- " يمكنني ان اخبرها بنفسي ، هلا تركت لها رسالة معي "

وغمغم قائلا :

- " إنه كرم منك " ثم اطال النظر إليها قبل ان يستطرد . " حسنا ، اخبريها انني كنت اريد ان ارتب لها معاشا صغيرا "

وعبست في دهشة ، وسالت :

- " لماذا ؟ لقد بدا هذا غير متفق مع صورة "إيثان تريمين" قاسي القلب . وردد بسرعة :

- " لقد توفيت والدتها في خدمتنا ، وهي تعرف كل شيء عن الموضوع واشرق وجهها لذكر المعاش . إنه يعرض عليها شيئا دون مقابل ، وكان هذا الكرم اكبر من ان تتوقعه منه . ربما كانت متاثرة في فكرتها عنه بما اشيع من اقاويل .

وقال :

- " يجب ان اذهب ، فاختي قلقة ، ولا تريد ان تقضي الليلة بمفردها "

وربما كانت هزة راسها قوية ، ولكن عينيها الخائنتين كانتا تفيضان بالتوسل إليه ان يبقى .

- " ارجوك الا تحاولي إغرائي بالبقاء . هل لا تزالين متوترة ؟ "

وردت :

- " بلى ، فقد يعودان للانتقام عما سببته لهما من فزع بجهازي "

- " يعلم الله كم لا اريد ان اتركك ، ولكنها اختي ... إنها متكدرة الليلة "

وتساءلت إن كان لهذا علاقة بالعثور على الوصية ... ولكن ذهنها عاد سريعا "إيثان" ، وهتفت باسم "إيثان" ... " و مدت يديها إليه ، ثم سرعان ماسحبتهما ، ولكنه كان قد لمح تلك الحركة ، وفهم مغزاها .

وملأها السرور وهو يعود إليها ، مسددا نظره إلى وجهها . واغمضت عينيها غير قادرة على تحمل لهب عينيه . وسمعت خطواته، ثم ادركت انه قد صار واقفا بجوارها وقال لها برقة :

- إنك محتاجة إلى إجازة . لماذا لاتاتين معي ، إلى كورنوول" هكذا من وحي الخاطر ربما كان ذلك ضربا من الجنون ، ولكني لا استطيع

الرحيل دون ان اسالك ذلك " .

وكررت :

- " إجازة ؟ " وهي تتمنى لو تصرخ بالموافقة .

ووضع يده على كتفها قائلا :

- " ولم لا ؟ إنني اعيش في مكان بديع ، يدعو إلى الراحة . إن غدا هو السبت . الا يمكن ان تحصلي على فترة راحة ؟ ماقيمة ان يكون المرء رئيسا إذا كان لا يستطيع منح نفسه إجازة ؟ "

وكان عرضا مغريا ، فهي مسافرة في غضون يومين إلى هناك على اية حال فما الضرر في ان تسافر معه ؟ ويمكنها في الطريق ان تكشف له عن شخصيتها ، وتشرح له سبب تصرفها . ويتاتي لكل منهما معرفة الآخر بصورة اوثق . ثم انتابتها رغبة ملحة في ان تعرف سر التناقض بين ما كانت والدتها تحكيه عن سمعة "إيثان" السيئة ، وبين هذا الرجل الذي ترغب فيه بكل جوانحها .أم تراه يستغل جانبيته ليخدعها؟

قال برقة :

- " لم اكن اتصور انك من النساء اللاتي ياخذن وقتا طويلا لاتخاذ قرار .

هل تريدين فعلا ان تقضي الليل بطوله وحيدة ، مترقبة كل صوت يثير الشك - " واختك ؟ " وطاف بذهنها في اسى تلك المتعجرفة انابيل وهي التي ربما تستقبلها بصورة مختلفة إذا ما قدمت إليها في احد تصميمات " كريستيان ديور " ، يفوح منها عطرها الثمين .

- " لا مشكلة . لا تفكري فيها على الإطلاق . ارجو ان تاتي ، فعلي ان اذهب الآن ، ولا احب ان اتركك هنا "

- " ارجوك لاتستعجلني هكذا "

- " استعجلك ! وما بال العاصفة التي اندفعت في عصر اليوم ؟ لا اريد ان تدهمني بنت المدينة بهذه الصورة مرة اخرى ، وإن كنت لا انكر ان الامر كان ممتعا لي "

- " اهذا ما تراه في بنات المدينة ؟ " كان الطبيعي ان تسر لهذه الصفة التي توحي بالاناقة والمدنية . ولكن بما انه رجل من الريف ،

فقد كانت تفضل إن يراها طبيعية . وربما جذبته اكثر لو كانت عارية القدمين ملطخة الوجه . بالتناقص مع جنس الرجال. . ! !

وزفر في اسى " نعم . إني لا إخالك ترغبين في حياة الريف كثيرا . ولكن ربما توجهنا معا إلى مدينة " بلايموث " لبعض المشتريات ... "

وحزمت امرها فجاة : - " إني قادمة . إني بإمكاني إن اتاقلم مع اي مكان ، وسوف ترى " .

وضاقت عيناه ، وهو يسال :

- " أحقا ستاتين ؟ .. الآن ؟ "

- " ساحزم متاعي بمنتهى السرعة ، على شرط ان ينام كل منا في غرفة منفصلة ، فلست اريد استهجانا من اختك ، ولا علاقة رخيصة بيننا " .

ورد بهدوء :

- " لن يكون الامر هكذا على الإطلاق . "

وكانت "روكسي " تدرك ان هناك امرا يصعب تصديقه كان يحل بها ، وكانت راضية به . فرغم قرارها الاهوج ، كان الشعور الذي يسيطر عليها هو السكينة والسلام .

ارتدت "روكسي " تاييرا قرمزي اللون ، ملتصقا بجسدها بصورة لا تدع للتخيل مجالا . كانت معتزة بجسدها ، وكانت تريد ان تكون فاتنة في عيني "إيثان " ، فهي تدرك ان ثمة شيئا ذا خصوصية قد بدا . ولفت شعرها بوشاح من نفس لون احمر شفتيها وخضاب اظفارها .

لقد كانت ترى الإثارة واضحة في عينيه . ولم يكن للنجاح في النشاط التجاري شان في هذا . فقد استطاع "إيثان " بسهولة غير عادية ان يزيح ما بنفسها من شك وامتعاض تجاهه ، وخلف وراءهما شعورا من القوة لدرجة ان "روكسي " كانت سعيدة بان تستسلم لذلك الشعور ، تاركة نفسها تحت رحمته ياخذها حيث شاء .

لقد تطلب الأمر رجلا غير عادي ليثير مشاعرها بهذه الصورة ، ولقد تولدت في تلك اللحظة بذرة من التوافق والتراضي بينهما ، كانت تعلم جيدا بغريزتها انها سوف تكبر وتزدهر لتغير حياتها كلية .

قالت وهي تخطو خارج غرفة نومها :

- " الا تنصرف قبل ان تنحسر الستائر كمدا بسبب منافستي الوانها . "

وتطلع ماخوذا إلى عينيها المتالقتين ، وثغرها الباسم . ثم قال دون ان يبادلها الابتسام :

- " بل ننصرف قبل ان القنك درسا لاتنسينه ابداً .

فاتسعت عيناها ، وقالت وهي تتنفس بصعوبة :

- " إليك حقيبة ملابسي "

وتبعته هابطين السلم ، تنظر بافتتان لكل خط في جسمه ، وتود لو تمد يدها لتمسك بكتفيه العريضتين . وماإن وصلا إلى المدخل ، حتى احاط خصرها بذراعه ، وسارا إلى السيارة في صمت ، متمتعين بهذا التقارب بينهما .

ومررت يدها على سقف السيارة بإعجاب . سواده لامعة ، سحرها كمثله لا يقاوم قال وهو يراقبها :

إنك تحبين لمس الأشياء ، اليس كذلك ؟ " فاعترفت له وهي تاخذ مكانها في المقعد الايمن ، وتمدد ساقيها على راحتهما :

- " يجب علي هذا دائما .

- " وهذا ما ظننته . من الغريب ان تتخذي لنفسك تلك الحرفة غير الاجتماعية ارتفع صوت المحرك ، وانطلقا . وشعرت وكانها تفر متحررة من كل مسؤولياتها . وكان شعورا رائعا .

- " لم اكن دائما بهذا الثراء وذلك الاستقلال . بل لقد دفعتني والدتي يوما مالامتهان مهنة التمريض . ولكن لم اكن ذا نفع فيها " .

- " ولماذا ؟ فابتسمت للذكرى :

- " كنت اقضي وقتا طويلا في الثرثرة مع المرضى . وكنت ذات يد حانية بالنسبة لهم ، ولكن الروتين الجامد اضجرني "

- " ولكن البون شاسع بين حرفة التمريض ، والتجارة . "وهزت راسها :

- وبعد ترك المستشفى ، غادرت بريطانيا كلية إلى الولايات المتحدة ، حيث اشتغلت كممرضة لطبيب اسنان " .

- " ولماذا رجعت ؟ "

- " الحنين ، واقتناعي بانني لم اخلق لخدمة الغير . فانا افضل ان اقود الأوركسترا ".

ومن ثم عملت باقصى طاقتي لكي انشيء تجارتي ".

- " هل انت قاسية ؟ انانية ؟ "

- " حينما اريد شيئا ما " ثم سالته فجاة : -" اولست انت كذلك ؟ "

فرد باقتضاب " اكثر مما اتجرا ان اكشف للغير . "

واقشعر بدنها قليلا . هل تثور ثائرته حين يعرف خدعتها ؟ ربما لا يكون الوقت مناسبا لذلك ؟ وعضت شفتها .

وتجهم وجهه فجاة :

-" هناك مشكلة اواجهها ، قد تعكر صفو عطلة نهاية الأسبوع "

- " ربما لم يكن لي ان اقدم عليكم دون سابق تنبيه ..."

- " كلا ، إن قدومك لن يثير دهشة احد . "وتقلص الفك الجرانيتي

- " ربما اكون مبالغا في قلقي . "

وقالت تستحثه :

- " اخبرني ، لقد اثرت اهتمامي "

- " لقد ماتت امي في ديسمبر " . وعبست . عليها ان تخبره الآن ولقد ورثت منزل العائلة . واختي الآن تظن ان جزءا من الميراث قد لا يؤول لي "

وسالته بفضول :

- " هل الأرض كبيرة المساحة ؟ "

وقبضت يداه بشدة على عجلة القيادة ، منذ عدة لحظات مركزا على الطريق

- " كبيرة بالنسبة لمزرعة في " كورنوول " . وارضي انا مجاورة لعزبة والدتي - كارنوك - وبنفس المساحة تقريبا ، كلاهما حوالي مائة وخمسين هكتارا .."

وشهقت :

- " ثلاثة مائة هكتار معا ؟ ، وهل تمانع في فقد جزء ضئيل منها ؟ إن مساحة كهذه تستغرق كل وقته بالتاكيد للنظر في شؤون ما فيها

من مزروعات وحيوانات .

قال وهو يركز عينيه عليها مفكرا ... " إنك لاتفهمين . لقد استردت هذه الأرض الآن ...

وليس في نيتي ان اسمح لشبر منها يضيع مني مرة اخرى . لقد انفصل والداي حين كنت في العاشرة ، وقسمت مزرعة كارنوك الضخمة قسمين ، واستقرت امي في منزل المزرعة ، بينما عاش والدي في كارافان في الجزء الآخر ،إلى ان بنى له منزلا فيه ، وقد عشت انا مع والدي "

وسالته بهدوء :

- " لماذا ؟ " وبدا لها ما اصبح عليه فجاة من تباعد وبرود ، لأن سرد هذه القصة يؤلم مشاعره . وكانت "روكسي " تعتقد بوجود سبب قوي لبعده عن امه المريضة واخذ نفسا عميقا :

- " كيف تختارين في مثل تلك الظروف ؟ . في النهاية ، ستختارين من تحبينه اكثر ، او من ابدى لك حباً اكثر ، وقد كان هو والدي بمنتهى البساطة . ولا تزال ذكرى إبعادي عن بيتي الحبيب حية في ذاكرتي . منزل رائع لا يتاتى لإنسان ان يدرك ذلك عنه قبل ان يراه ، وما يفعله توافقه مع الطبيعة في النفس " .

- " هل كنت تزور والدتك و ... " وتخاذل صوتها . فهي تعرف الإجابة ، ولكن لا تعرف رد فعله وقاطعها بمرارة :

- " ازورها ؟ . لقد كنت في اغلب الأوقات اتمنى لها الجحيم "

- " لا يمكن ان تكون هذه نواياك تجاه والدتك ...

وقاطعها :

- " اتستبشعين جمودي ؟ إنك لا تعرفين كيف كانت ؟ لقد قلت إنها لتوي احالت حياة والدي جحيما إلى ان دمرته تماما ، ثم دفعها عقلها المختل إلى محاولة تدميري انا الآخر . لقد كان الحنين ينهش قلبي طوال حياتي ، وإلى ان ورثت كارنوك ، للسير على ارضها . تخيلي بؤس طفل في العاشرة حين يسيربمحاذاة السور الذي يفصله عن مرتع طفولته . تصوري :

وانخفض صوته حتى صار همسا : رجل في الثلاثين ، لا يزال

يتحرق شوقا ، وتتقطع نياط قلبه لظلم القدر . "

- " يمكنني ان اتصور ... " وزمجر في صوت عميق

- بل " الأمر اكبر من ذلك . لقد كان الأسى يقتلني وانا ارى " كارنوك " ينحدر حالها . يوما بعد يوم ، وعاما بعد عام وانا اشاهد الحقول ، والأجران والحدائق تذوي ، وتعيث بها يد الإهمال ، وتستحيل جرداء، محرومة من اي حدب أو حب " .

" لقد اصبح لك منزل جديد ، وارض تبذل فيها كل جهدك ... "

- " لن تفهمي معنى الارتباط بعائلة عمرها قرون . استقرت في مكان ما حتى تعايشي ذلك بنفسك . إن الإحساس بالارتباط بالمكان يفوق كل منطق . لقد كرهت امي حين تسببت في طردي منه ، شعرت انني كادم حين طرد من الجنة ، وهذا ما اراه في " كارنوك " قطعة من فردوس الله وستدركين هذا حين تصلين إليها . فحتى الفتاة التي يتعلق قلبها بالمدينة يمكن ان تدرك مدى جمالها . "

قالت متاثرة بهذا الإصرار منه - " لن ياخذها احد منك بعد ذلك . إني متاكدة.إنها لا تعرف شيئا عن الريف ، ولكنها كانت تطرب لمناظرها في رحلاتها الخلوية ، أو على شاشة التليفزيون . ولو كانت كارنوك" بالجمال الذي يدعيه ، فسوف تعجبها ايضا .

وقال بصوت ناعم : - " احقا ؟ "

ودارت براسها تجاهه ببطء . وسالته : ولماذا يفعل احد ذلك ... وكيف ..؟

كيف يمكن ان يحدث " وتساءلت في داخلها إذا كان قدعلم شيئا . ودعت الا تقف الوصية عقبة بينهما ، فقد كانت حاستها تخبرها بان هذا ما سوف يكون.

وغمغم وفكه يتقلص : - كيف حقا ؟ لقد بذلت سنوات من الحنين لـ كارنوك " ولن اسمح بان تنتزع من يدي مرة اخرى . " ورماها بنظرة انخلع فؤادها لبرودتها .

ثم " اضاف بوحشية " ولن اتورع عن قتل من تسول له نفسه ان يفعل هذا ".

الفصل الرابع

اقشعر بدن " روكسي " لهذه العاطفة الجياشة التي بدت في صوته . لم تكن تفهم كيف يتعلق قلب إنسان بحجارة وبلاط بهذا الشكل ، ناهيك عن حقول واشجار . إن المنزل هو مكان تاوي إليه بعد عناء العمل . وبالنسبة لها كان ذات مرة مسكن قوم اخرين ، ذلك حين توفي والدها بعد ميلادها بقليل وانتقلت بها لتعمل لدى عائلة كبيرة في لندن .

وحين انتقلت والدتها لتعمل في " كارنوك " ، عاشت في مساكن الممرضات ، ثم في سكن مشترك في نيويورك . وحين اصبح لها مسكنها الخاص ، لم تكن مرتبطة به عاطفيا ، ومن ثم كان صعبا عليها ان تفهم هذه العاطفة القوية من " إيثان " .

ورات أن الأمر قد تجاوز الحد ، وان عليها ان تصفيه فقالت في تردد."

- " إيثان ، هناك امر يجب ان اخبرك به . إنني ... لقد ... رباه ، هذا شنيع . لقد خدعتك "

وتصلبت شفتاه في خط مستقيم " وسالها كما لو كان دهشا :
احقا؟"

ولم تكن نبرة صوته مشجعة .

وكان الأمر أصعب مما توقعت : - " لقد كان غباء مني ، ولكن يجب ان تسمع لتبريري حتى تفهم موقفي "

ورد في صوت أجش - " حسنا ، إنني مصغ ."

وكانت تود في إلحاح أن تستعيد فكرته الطيبة عنها ، ولكنه سوف يفقد الثقة بها لو فعلت . ولكن على اية حال ، فجلسة فتح الوصية يوم الاثنين ، وسوف تظهر شخصيتها فيها .

وبدات تتحدث وهي تضم اصابعها بشدة :

حين جئت تسال عن "روكسانا بيج ، اردت ان اعرف السبب اولا . فقد بدا الأمر غريبا ان تقطع هذه المسافة لتقابلها "

وقاطعها : " لقد اخبرتك . لقد تصادف وجودي في لندن ، وكان امرا يتطلب المناقشة وجها لوجه ."

وكان سيسهل عليها اعترافها لو لم يتخذ هذا المنظر الصارم . إن لديه براعة في إفقادها ثقتها بنفسها ، دون ان يعنيه ان يكون وسيما ام لا . وضايقها تصرفه ذاك ، فقد كان يخفي وراءه شدة مفزعة .

واكملت مضطربة " لقد تحدثت انت اقصد .. لقد كان ذلك ..." ثم توقفت وهي ترى الصدر الضخم ينتفخ بالغضب :

- " إيثان ... "

وسال محتدا : - : تحدثت انا ؟ وكانت نبرة صوته تحمل شيئا من الاستغراب .

- " نعم ، معي . وكان ذلك ..."

وتصلب جسدها حين مديده وراء ظهرها ، ثم احاط عنقها بها . وسرى الخوف في بدنها . وقال يستحثها :

- " نعم ؟ "

ولعقت شفتيها بعصبية . وامتدت يده إلى شعرها ، وادارت راسها تجاهه . وارتعدت للنظرة التي رماها بها ، باردة ، عدائية ، اخترقت قلبها كمدية من جليد .

- " إيثان ... " وقال من بين اسنانه :

- " هيا ! وقالت في نبرة بؤس : انا " روكسانا بيج " وانتظرت الانفجار .

ورد عليها باقتضاب :

- " اعلم ذلك . "

وسرى الهلع في بدنها كله :

- " تعلم متي... عند اية نقطة ادركت ذلك ؟ "

وبدات السيارة تخفف من سرعتها . وتجاهلها عدة دقائق مركزا على الطريق وهو يدخل في حارة ضيقة .

وقالت متوسلة : " قل شيئا "

كان وجهه جامدا وهو يتجه إلى منزل يؤدي إلى محطة خدمة . وكان في تصلبه يعطيها انطباعا يثير اضطرابها ، وكان شعورها اكثر من مجرد خيبة امل في لعبة غبية ورطت نفسها فيها

كان جسده كله ينبئ عن الغضب يسيطر عليه بعناية بالغة ، من عينيه الباردتين لصوته الأجش ، إلى قدميه وهما تتبادلان الوضع على الفرامل ودواسة البنزين بعنف . وقررت الا تبدي اي قدر من الدفاع عن نفسها وهو في حالته المزاجية تلك .

واتجه إلى مكان متسع من جانب الطريق ، ووقف السيارة ، وخيم الصمت بينهما ثقيلا ، وشعرت باعصابها تتوتر .

متى عرف حقيقتها ؟ هل قبل قبلته الملتهبة ؟ ودفعت الباب ، وقفزت من السيارة واخذت تعب من هواء الليل البارد ، شاعرة بالوهن يسري في جسدها . وشعرت بجرح عميق من الحرج وهي تتذكر كل لمسة من يده ، وكل كلمة كاذبة سخرمنها بها .

وهمست في الظلام : - " ايها الخنزير القذر . " لقد لعب بها واستغلها عن عمد ، عالما برغبتها في استخلاص الحقيقة منه . وشعرت بالإذلال وتحطم الكرامة .

وعادت إلى كرسيها وقد خارت قواها فجاة . فارتمت عليه تحاول في يأس ان تجمع شتات نفسها . وغمغمت بشفتين باردتين " - " يا لك من وغد . " فسالها ساخرا :

- " وماذا عنك ، يا عفريتة ؟

واشتعل جسدها ، وغمغمت :

- " إني آسفة . "

- " اوه ، وهل يصلح هذا الأسف الأمور ؟ هل اغفرلك إخفاءك شخصيتك ، ومحاولة إغرائي بمفاتنك لتعرفي سبب طلبي لك ؟ "

وغمغمت :

- " لم يكن الأمر كذلك " فغضب قائلا :

- " بل كان . وكنت اعطيك درسا . وحين كنت في مسكنك ، كان يخطر ببالي ان اجعلك مجنونة بي لولا انه كان لدي امور اهم " وكانت نبرة صوته مفعمة بالازدراء .

وردت محتدة :

- " لم تكن لتفعل بي ذلك " فاجابها صارخا في وجهها " - بل كنت سافعل، وانت تعرفين كم انا عنيد ولا اعرف الرحمة " .

سالته متخابلة :

- " وكيف عرفت حقيقتي ؟ " فاجاب والسخرية تملأ عينيه :

- " لقد كان حماسك زائدا على الحد . ورغم جانبيتي لم اكن لاثير فيك كل مابدامنك من انفعال هكذا . ثم إن البائعة بدات تهتف باسمك، واعتقدت لحظتها انني اخطات السمع ، فاين فتاة الجنازة البدائية من تلك اللعوب التي دخلت المحل . ثم إني تعرفت على صوت سكرتيرك رغم سوء حالة الخط التليفوني . "

قالت مدافعة عن نفسها :

- " لقد كنت ضائقة النفس بتصرفك معي في اثناء الجنازة .

وقد كان خطامنك انك لم تخبرني بمعرفتك شخصيتي "

- " وافقد كل تلك المتعة ؟ لقد سرني أن أسايرك . حتى أعلم سبب تقمصك شخصية ماتاهاري . او بالاحرى .. العفريتة . "

واشتعلت بالغضب ، فلم يحدث ان تغلب عليها رجل بتلك الصورة .

وسالته ببرود :

- " ماذا تريد الآن ؟ " فرد باقتضاب :

- " المنطق . لماذا كنت في ذلك المنظر المزري في جنازة والدتك ؟ "

فردت بوهن :

- " كنت قد غادرت لندن في يوم مشمس ، وفوجئت بالمطر يهطل ، فاستعرت بعض الملابس من صاحبة النزل الذي نزلت فيه "

- " وإذا كنت لم تقصدي إغرائي كما تقولين ، فما سبب تصرفاتك معي ؟

- " لقد قلت لك ، كان الشك يملأ قلبي تجاهك "

فصرخ وجهه على بعد سنتيمترات من وجهها :

- " كاذبة ، ايتها الفاجرة الخسيسة واتسعت عيناها في تعاسة :

- " ماذا ... ؟ "

وتمتم شيئا ، ثم ادارها لتواجهه ، وبدا كما لو كان سيبطش بها . وكانت ملامح وجهه تنطق بالكراهية ، وقال من بين أسنانه :

- " إني أعدك ، لو كنت تسخرين مني ، فسوف اجعلك تندمين اشد الندم على محاولتك خداع إيثان تريمين " .

واستشاطت غضبا . إذا كان كل هذا الغضب منه ، لاكتشافه انه كان يغازل ابنة الخادم ، فإنه يكون نذلا .

وسالها محنقا :

- " لقد كنت تتلاعبين بي طوال الوقت ، اليس كذلك ؟ الهذا قبلت دعوتي للسفر إلى " كارنوك" ! لتمارسي إغراءك لي ، ثم تفاجئينني بادعائك حقا على أرضى ؟ ثم ضيق عينيه :

- " هل اتصل بك "بنها ليجون ؟ "

- " نعم . حينما كنت اتحدث مع " چو " . ماذا تقصد بخصوص الأرض؟"

واشتدت قبضته على كتفها بوحشية ، وتراجعت أمام هذه الضغينة التي تشع منه ، ولكنها انجذبت إليه حتى شعرت بلفح انفاسه على وجهها .

وصرخ فيها :

- " إنك تعلمين شيئا اليس كذلك " ؟ وهزها بقسوة :

- " ما هو ؟ . ما الذي في الوصية ؟ "

وانفجرت تبكي بغضب :

- " لست ادري ، كف عن هذا ! " ولكنه رفع صوته في وجهها :

- " بل تعلمين ! امك كانت خبيثة مثلك . لو فكرت لحظة - ... " ثم رمش بعينيه :

- " ... لو فكرت لحظة انك سوف تدعين شيئا من ميراثي ، فسوف اقذف بك من السيارة وهي منطلقة "

وعضت شفتها . رعبا وقلقا . وغمغمت:

- " كن معقولا . لابد ان هناك وصية بشيء ماطالما طلبت إلى جلسة سماع الوصية .

واطبق على ذقنها بسبابته وإبهامه وحملقت إليه كالمغنطة بعينيه اللتين تشعان كراهية قاتلة وارتعشت شفتها السفلى .

وقال بمقت شديد :

- " لا تحاولي فلن يجدي ذلك . لا اظنك تدركين ما اشعر به تجاهك هذه اللحظة . خبريني بصدق ، هل حدثتك امك عن اية وصية ؟ "

- " لا ، ليس إلا ... " واطبقت فمها ، نادمة على زلة لسانها .

وصرخ وهو يهز فكها إلى اعلى :

- " خبريني "

وهمست :

- " ايها الوحش ، إنك تؤذيني " وخفت قبضته قليلا :

لم تقل لي امي إلا ان والدتك كانت تهدد بحرمانك انت واختك من الميراث . فقد كانت تحمل لكما الضغينة .

ولكن امي لم تذكرلي شيئا عن ان هذا التهديد قد وضع موضع التنفيذ "

وارتمت إلى الوراء حين اخلى " إيثان " سبيلها ، ليتخذ موضعه ببطء خلف عجلة القيادة .

واختلست نظرة إليه ، فوجدته يحملق في الفضاء ، والغم يكسو جسده كاملا. وغمغم

- " إنها لن تفعل ، فلا يمكن ان تمحو توارث أجيال من ال "تريمين "

هكذا .

فنحن في " كارنوك " منذ قرون ، إننا ننتمي إلى هذا المكان . "

واغمض عينيه من شدة الألم :

- " لا يمكن ان يكون هذا صحيحا " وكز على اسنانه :

- " لن اغادر المكان إطلاقاً

- " ربما لن تضطر لأن ... " وصرخ فيها :

- " اخرسي ، لقد سببت لي ضيقا لا يقل عنها . لا تلفظي بكلمة طوال الرحلة . فيبدو ان بيننا وئاقا مؤقتا .. سوف اجد لك فراشا في كارنوك" الليلة ، ثم تدبري امورك بنفسك بعد ذلك "

واحتدت عليه قائلة : " إنني لم ازعجك من قبل "

وادار السيارة وانطلق بعنف ، وجسده ينتفض من الغيظ . وتخالت في مقعدها تتمنى لو تبتلعها الارض . لقد اخطات . فهو ليس بالإنسان الكامل . ولكن ذلك لا يبرر ما فعلته . إن روح المرح لديها قد اوردتها ما لا تعرف عقباه ، وودت لو يعود الزمن إلى الوراء .

لقد كان غباء منها ما فعلته ، ان تتخفي وراء شخصية وهمية حتى لا يؤذيها بتلطفه الهازىء ، فإذا بها تتعرض لمقته وازدرائه ، وهي مستحقة لذلك .

ولكنها ابدا لم تستغل الظروف مثله . فقد كان صفاقة منه ان يظهر لها احتقاره لها بهذه الصورة .

لقد اصبح لهما كل الحق الآن في ان يكرها بعضهما . بالغرابة تحول القدر .

ربما بعد قراءة الوصية ، واطمئنانه على الضيعة بين يديه ، يكون احسن مزاجا ، فتعتذر له الاعتذار اللائق ، وتخبره بانه كان مخطئا بشان والدتها التي رماها دون وجه حق بانها خبيثة . وكان امرا غريبا ان يرميها بذلك الوصف .

وكانت رحلة فظيعة ، لم يتوقف خلالها لحظة مدة خمس ساعات ، وكان رأسها يطن من قلة الطعام . وكان الرعب يملؤها كلما فكرت في مشاعره ، وهو يقود السيارة وعيناه تقدحان شررا ، وجسده مشحون بالتوتر .

آه لو تتمكن من النوم ! ولكن الجو كان مشحونا بالعداء لدرجة جعلتها في قمة التوتر .

واندفعا عبر الجسر المعلق الذي يعبر نهر "تامار" الذي يفصل "دافون عن "كورنوول" وبعد ثمانية كيلومترات دار "إيثان" داخلا في طريق ضيق يلتف ويتلوى بلا نهاية ، وسطه مليء بالعشب ، وجانباه محددان برصيفين مرتفعين . وأخذ يقود ببطء ، مضطرا إلى التوقف مرتين لمرورقنفد وثعلب في الطريق امامهما ، واضحين في ضوء كشافي السيارة .

واندفعت فجاة جانبا وهو يدور داخلا ممرا توقف فيه تاركا المحرك يدور ورأت "روكسي" لافتة منزل كارنوك" ، ونظرت إلى "إيثان ، فوجدته يزفر وقد استرخت كتفاه . وعلى ضوء الكشافين ونور القمر الفضي ، لاح لها المشى يتلالا بالاشجار الباسقة ، بينما تترامى الحقول على جانبيه ممتدةغارقة في الظلام ، وعلى البعد ضوء يتلالامن منزل ريفي . وتوترت اعصاب "روكسي" إذ ادركت انه المنزل الوحيد على مدى البصر لا يلوح في ظلمة الليل المخيمة غيره .

وبدأت السيارة تتحرك ببطء تحت الأفرع السوداء واوراق الشجر الغريبة المنظر ثم بدأت المشايات المكسوة بالنخيل ، والتكعيبات تبدو لعينيها ، وأخذ بياض المنزل الحجري الضخم يظهر شيئا فشيئا تحت ضوء الكشافين ، من خلال النبات الكثيف الذي يختفي وراءه .

ودون أن ينبس بكلمة أوقف "إيثان" السيارة امام بوابة ضخمة ، ونزل من السيارة يمد جسمه . ولما كانت لا تدري ماذا تفعل فقدنزلت هي الأخرى ، سعيدة أن تريح تقلصات اطرافها .

وأخذ الصمت المطبق يكتم انفاسها ، فطوال حياتها وهي متعودة على خلفية من ضوضاء المرور . وصك اذنيها صوت بومة - كان صوتا جميلا في هدوء الليل ، مثيرا للشجن وقال لها باقتضاب- "ادخلي، وساحضر حقيبتك" قالت :

- "ولكن يجب أن تفتح لي الباب أولا" فرماها بنظرة صاعقة :

- إننا في كورنوول" حيث لا يتعين أن توصدي اي شيء حولك ، بما في

ذلك الغرف وشعرت بجسدها يشتعل ، ولكنها رفضت أن تتركه يعذبها، فيجب أن يخرج أحدهما من هذا الموقف بشيء من الكرامة . وانقبض صدرها لهذه الفكرة .

ومدت يدها إلى مفتاح النور ، ولكن سرعان ما انزلتها وقد انقبض صدرها وهي تمسك بإطار الباب ، لاتريد أن ترى اي شاهد على النار التي قتلت والدتها وسالها بصوت اجش وهو يمرق امامها ، ويغمر المكان باضواء اخترقت عينيها المغلقتين :

- "ماذا هناك ؟

وردت بصعوبة :

- "النار ...."

- "آه ، لقد نسيت أن اخبرك. إنها كانت محصورة في الناحية الأخرى حيث يوجد المطبخ . وقد كانت والدتك ووالدتي يوفران من التدفئة ، ومن الاعمال المنزلية بغلق الجزء الأكبر من المنزل . وكانتا تنامان في الغرفة المجاورة للمطبخ . وقد جددت المكان تماما ."

وجاهدت لتتمالك نفسها مرة أخرى ، تود لساقيها المضطربتين أن تتحركا . وحين فتحت عينيها مجهدة ، وجدت انه ينظر إليها في سخرية مريرة .

وسالها : - "أكنت تحبين والدتك إذن . عجبا لك فقد عدت على وجه السرعة بتلك الصورة ، ولم تهتمي بان تنتظري إتمام مراسم الجنازة.

وسالته - "وماذا في ذلك ؟ . لقد علمت أن أحدا منكما لم يكن يريدني، واعتقد أن الشعور كان متبادلا .

واظلمت عيناه للذكرى" لم اشعر باي تعاطف مع ابنة "ميلي بيج" لقد حالت امك بيني وبين امي ، واحالتها إلى امراة عجوز مدمنة وعاجزة . لهذا اكرهها ، ومن الأفضل لك أن تدركي ذلك ."

وامام عينيها الدهشتين ، حمل الحقائب وصعد بها السلم الخشبي بديع الصنع قاطعا منحنياته في خطوات ضخمة اضطرت إلى أن تجري لتلاحقها .

وصرخت وراءه : "ما هذا الذي تقول ؟ لا يمكن أن تظن هذا بوالدتي! لقد كانت في منتهى الطيبة والرعاية .."

وقاطعها محتدا : - " منتهى الطيبة والرعاية . " وقطعت رجلاه الطويلتان منبسط السلم بسرعة فزادت من سرعتها لتلحق به . " يمكنك أن تستخدمي هذه الغرفة . فهي مخصصة للوصيفات . ساحضر بعض الأغطية . "

وغاصت في تعاسة في سرير صغير .. لم تشغله وصيفة منذ سنوات . يدل على ذلك رائحة العفن الناتجة عن عدم الاستعمال . وأحست فجاة بالوحدة والضياع، وحل بها إجهاد جعلها تشعر بانها غير قادرة على الحركة . والقى إليها " إيثان " العابس بوسادة ، وملاءة، وبطانية ، ولكنها لم تبد حراكا ، بل ظلت تحملق ببلادة إلى الفراغ من خلال جفنين مبللين مسهدين . وتوقف ، وسحب الرعد تتشكل على وجهه ، ثم سالها بلهجة لاذعة :

- " ماذا تنتظرين ؟ هل اضعك بنفسي في الفراش وهمست :

- " ايها الخنزير " فغمغم في تثاقل :

- " يمكنني أن اكون كذلك ، يعلم الله انه يمكنني "

واستدار راسها ببطء لتنظر إليه ، وحينما رات الرغبة الصريحة في عينيه، هطلت دموعها مدرارا ، فقد كان سوء التفاهم السخيف الذي يحول بينهما سبب التعاسة لكليهما ، ولابد له أن يتوقف .

وقالت بصوت متهدج :

- " إيثان .... "

رفع جسدها بلا شفقة ، وسحقت شفتاه شفتيها في قبلة قاسية حتى أحست بصلابة أسنانه تحت شفتيها الغاضبتين . ومال راسهاإلى الوراء من قسوة الهجوم ، وانثنى جذعها إلى الخلف حتى شعرت بعمودها الفقاري يكاد ينقصم ثم اطلق سراحها بعنف لدرجةانها عادت طائرة إلى الفراش وصرخ فيها :- " إني اكرهك ، وسوف تندمين انت وامك على ما حاولتماه من إضرار باسرتي" تفجر بداخلها الشعور بالظلم ، فجففت دموعها بموجة عارمة من الضراوة انطلقت على اثرها تجاهه ، ولكنه امسك بها على طول ذراعيه ، مبتسما في حنق . وحاولت " روكسي " تخليص رسغيها من قبضته المؤلمة .

- إنك تستاسد علي يا "إيثان تريمين "، تتهمني ظلما وتهددني ، وتقبلني وتحاول إغرائي وتستخدم العنف البدني معي ، كل هذا باسم شرف اسرتك الغالي "

ضحك ضحكة خالية من اية مشاعر ، وقال بعنوبة :

- " ايتها المشاكسة ، جميل منك هذه الهجمة النارية وهذا الصراخ. نامي في هدوء إذا استطعت ، مع مخلوقات الظلام التي تنادي على بعضها في الخارج وإذا... "واخترقت عيناه جسدها المتصلب في ازدراء : - " ما شعرت بالوحدة ، فلا تاتي إلي ، بل انطلقي إليها واعوي معها في ضوء القمر ، ومارسي عليها سحرك . "

وصفع الباب وراءه ، وجاهدت بين دموعها ونعاسها ان ترتب الفراش . ثم القت بنفسها عليه وهي لا تزال في ثيابها الفاخرةالبيضاء . إن نومها عارية ، كعادتها ، كان جرا للمشاكل . وانطبق جفناها قبل ان يرتطم راسها بالوسادة وتبدا عضلاتها المشدودة في الاسترخاء .

استيقظت الطيور في اعشاشها ، وكانت قد ظلت راقدة على بطنها اغلب الوقت ، ترفس بقدميها حتى انحسرت عنها الملاءات . وتردد في الفضاء صوت مزمارصاف ، استمعت إليه بين النوم واليقظة ، بينما انغام اغاني الطيور تنساب سلسة بصورة تدعو إلى الدهشة . ثم اقشعر بدنها حين سمعت صوت تنفس في حجرتها ، فانقلبت على جانبها متجمدة .

كان مستندا إلى الباب ، يراقبها في تجهم بعينين تجمعان الرغبة الفاجرة والازدراء ، مركزا على الأماكن التي انحسرت عنها الثياب من جسدها ، وسرت في بدنها نفحة من رغبة كرهت نفسها على اثرها ، ولكنها كرهته اكثر ، لما يسببه لها من عجز .

وصرخت فيه :

- " اخرج ! كيف تتجرا ان تقف هكذا متطلعا في وانا نائمة " فغمغم:

- " إنما اتيت لأوقظك . "

- " إنني مستيقظة .

- " اريدك ان تتناولي فطورك قبل ان انصرف إلى عملي "

كان يرتدي بنطلونا قطنيا ذا لون اخضر ، وقميصا شمر كميه كاشفا عن ذراعين مفتولتي العضلات . ونظرت إليه عابسة ، ثم القت بنظرة على ساعتها ، وزمجرت ، فقد كانت الساعة السادسة صباحا .

وقالت له متهكمة :

- " هل استيقظت في هذه الساعة لتحلب الأبقار " ؟

- " بدلي ثيابك وانزلي ثم استديري لليسار " .

وجلست وحيدة تتناول الطعام ، شاعرة بالوحشة في المطبخ الريفي الفسيح . وكانت مرتدية ابهى حلة لديها ، بلون اصفر يظهر مفاتن جسدها .

ولكنها كانت متناقضة مع المكان ، وكانت تعلم ذلك . وكان ذلك متعمدا ، فقد قصدت الا تبدو مالوفة للمكان ، ولم ترد لمنزله ان يبعث البهجة في نفسها .

وعاد "إيثان" بعد فترة ، مرتديا حلة رسمية انيقة . وانتظرها صامتا إلى ان فرغت من فطورها ، ثم قادها إلى السيارة .

وقال لها باقتضاب :

- " سوف اضرب موعدا مع بنهاليجون " اليوم ، ولاأريد ان ارى شيئا منك إلى يوم الاثنين. والقى بحقيبتها في السيارة" - سوف تنتظرينني في مشرب القرية إلى ان احضر لاخبرك بالموعد ، وترحلي إلى لندن على الفور . "

ولم يكن هذا عاجلا بالقدر الكافي واخذت عيناها تتجولان في المنظر وراءها وهما يتحركان ببطء مبتعدين عن المنزل الذي كان يلمع في ضوء الشمس كالأيس كريم وتمتد من حواليه المرجة المخضرة بالنجيل وتتناثر حواليه اشجار الزينة وبعض اشجار البلوط الضخمة ، ولم تستطع ان تنكر الجمال الأخاذ لذلك المنظر . كانت " كارنوك " ترقد في حضن تل منخفض الارتفاع ، تحيط بسفحه في سلام ، ومن خلال الأشجار التي تحف بالطريق ، كانت روح "روكسي" تنخطف كلما مر امام عينيها منظر الوادي المترامي من النهر إلى التلال مرورا خاطفا .

اخذت "روكسي" تدير راسها في كل الاتجاهات ، وحواليها ازهار النرجس البري الصفراء الكبيرة ، واعشاب الجريس زرقاء الأزهار ،

وكلها تتصارع من اجل المكان . وهي تجاهد الا يفوتها شيء من سحر ما يحيط بها .

وقال "إيثان" وهو غارق في التفكير :

- " بديعة ، اليس كذلك ؟ ولن اسمح بشيء منها ان يخرج من يد العائلة " فهزت راسها قائلة :

- " ولست الومك . إنه اشبه بدخول عالم مفقود "

ولم يرد ، وشعرت بالاسى حين بدا يدخلان في الطريق الضيق وتذكرتها صاحبة الخان ، وقدمت إليها مالا يحصى من اقداح القهوة وجرائد الصباح ، إلى ان حضر " إيثان " قرب الظهر ليخبرها بان اجتماعا سيعقد بعد نصف الساعة .

كانت " انابيل " جالسة في شرفة صغيرة في غرفة استقبال ضخمة مشمسة وكان وجهها كالحا متجهما . وحين دخلت "روكسي" ، اخذت تقتحم بعينين متفحصتين كل تفاصيل ردائها الإيطالي الأنيق . وعبرت روكسي الغرفة إلى احد الكراسي المذهبة المصفوفة على شكل نصف دائرة حول مكتب خشبي انيق ، حيث جلست بلامبالاة .

ودخل رجلان تحدثا مع " انابيل " المنفعلة ، وتاتي لـ "روكسي" ان تلتقط كلمات تهدئة " إيثان " إياها .

- " انسة بيج " ، انا جون بنها ليجون "

وصافحته شاعرة بود على الفور للمحامي ذي الشعر المصفف بعناية وسالته

- " هل سيستغرق الامر كثيرا ، فالظروف .. "

ورد عليها في صوت ودود :

- " بصورة غير عادية نوعا ما . للاسف ، إن الوصية لم تكتشف إلا الآن ، فقد كتبتها السيدة "تريمين" بنفسها ، ولكنها قانونية تماما . وكل التوقيعات عليها سليمة . "

وسالته :

- " وكيف اكتشفت ؟ " فرد "إيثان" :

- " لقد وجدتها اختي في الغرفة العلوية . لقد استغرق تنظيف المنزل كل هذا الوقت لتصل إلى هناك إذ كان المكان في فوضى عارمة . "

وشعرت بالحنق لهذا التعريض بمقدرة والدتها على القيام بالعناية بالمنزل .

واستمعت للقراءة الرسمية ، واعية لـ " إيثان " يكاد يلتصق بها في جلوسه بجوارها .

وشعرت بالضيق فابتعدت عنه قليلا ، ووضعت ساقا فوق الأخرى . واخذ نفسا محنقا ، وعبست فلم يكن قصدها ان تثير غضبه .

وتشتت تفكيرها فلم تلتقط اخر جملتين قالهما المحامي ، ولكن يدا "إيثان " قبضتا على مسند المقعد بشدة ، فعادت بذهنها إلى الموقف ، شاعرة بالجو يتكهرب من حولها ، وتحولت " انابيل " إلى تمثال تشكلت شفتاه في دائرة تعبر عن الدهشة . وانحنى "إيثان " إلى الامام ، وقال بصوت رهيب :

- " ماذا قلت ؟ "

تنحنح المحامي :

- " ولذا فانا اوصي بكل ممتلكاتي إلى صديقتي المخلصة ومدبرة منزلي " ميلي بيج " .

وفغرت "روكسي " فمها من وقع الصدمة وسرت قشعريرة في جسدها وشعرت بالأسى ان تقدر مسز " تريمين " خدمات والدتها إلى تلك الدرجة . وانتظرت من المحامي ان يعلن عدم نفاذ الوصية لوفاة السيدتين في نفس الوقت .

وخيم السكون على الجميع وكادت نظرات "إيثان" تخرق المحامي دون ذنب او جريرة . ثم زفر قائلا :

- " كلا ... لا يمكن ... لقد اخطات ... ليس كل شيء ! "

- " اسف يا مستر "تريمن " ، هذا هو نص الوصية "

وكاد قلب " روكسي" ينخلع لمنظر وجه " إيثان " المكروب ، وفكرت في مدى وقع النبا عليه ، وكيف ان والدته قد نبذته بلا رحمة .

وقال " إيثان " وقد امتقع وجهه :

- " ليس هناك من شيء اخر؟ الم تذكرني واختي باي شيء ؟ "

وطوى الرجل اوراقه قائلا :

- " لا شيء سوى ان تبين مدى ضغينتها عليكما. "

وصرخت " انابيل " وهي تندفع خارج الغرفة :

- " كلا ! " وراقبها "إيثان ... وقد اعجزته الصدمة ان يلحق بها ، وكانت يداه متقلصتين على ركبتيه ووجدت " روكسي " صوتها اخيرا ، كما لو كانت قد افتقدت شيئا حيويا ثم وجدته :

- " ولكن الوصية غير نافذة بكل تاكيد ؟ فوالدتي ماتت في الحريق ايضا ، معنى ذلك ... "

ورد مستر "بنها ليجون " : -" روكسانا ، لم يمكن تحديد وقت الوفاة بدقة ، بالنسبة لوالدتك او المسز " تريمين " ، وفي مثل تلك الظروف يفترض القانون ان الاكبر سناهي التي توفت اولا . ولما كانت والدتك هي الاصغر في العمر ، فقد ورثت من الناحية الرسمية كل ممتلكات مورثتها الضيعة و المنزل ، ولما كنت وريثتها الوحيدة ، فقد آل كل ذلك إليك . وتململت في كرسيها ، وقد تجمدت اطرافها ، وعقدت الدهشة لسانها .

ثم انفجر "إيثان " وهو يهب من مقعده ، ملوحا بقبضته :

- " اللعنة على كل شيء !

إن هذه الوصية قد وضعت تحت ضغط ، وإلا فلماذا لجات والدتي إلى محامين غرباء ؟ ولماذا انكرت دمها ولحمها ؟ " واستدار ليواجه روكسي " ووجهه يرتجف من الغضب : " سوف اقاوم هذا بكل ما املك و" كارنوك " ملكي ، كل حجر في هذا المبنى ، كل شجرة إلى آخر نصل من ورقة من اعشابها ! ورد المحامي وقد كسا الجد وجهه :

هناك شهادة طبية ملحقة تبين سلامة السيدة "تريمين" العقلية . ولك الحق بالتاكيد ان تطعن في الوصية على اساس الاستغلال ولكن نظرا إلى الملاحظات التي ابدتها والدتك حول ما بينكما من عداوة فإني ارى ان تقبل ما لا مفر منه يا سيد"إيثان" .

ورد "إيثان " مغمغما :

- " إطلاقا ! طالما تردد نفس في صدري ... ! سوف اطعن فيها ، بحق السماء سافعل ! لقد استغلت " ميلي بيج " ثقة والدتي ، ومنعت اي انسان من ان يزورها . لقد حولتها إلى عاجزة تماما وسادفع بهذا

إلى أعلى درجات المحاكم مهما كلفني الأمر . لقد فقدت هذا البيت مرة ، ولن افقده مرة اخرى ! "

وحملقت إليه " روكسي " مستاءة لكلامه :

- " إنك مخطيء بشان امي ... "

وصرخ فيها صرخة مدوية :

- كلا ، لست مخطئا ! وسوف اثبت ذلك ، ولو ادى الأمر إلى ان أجعل اسم امك في الوحل . ولا سبيل إلى تلافي ذلك بان تبيعي كل شيء في التو واللحظة فماذا قلت ؟ "

وتحت تاثير الإهانة التي وجهت لأمها ، وقفت "روكسي" ببطء وهي تنتفض ، وقابلت عينيه بنظرة متحدية ، وقالت بهدوء :

- " لقد قصت مسز " تريمين " الكثير عنك لوالدتي، ولكنني لم اصدقها برمتها إلا الآن . لقد رمتك بالوحشية والخسة ، وقد انبا تصرفك هذا عن صدق ذلك . وبسبب ذلك ، وما قمت به من قذف بذيء في حق والدتي ، فليس في نيتي ان افعل اي شيء يجعل حياتك ايسر، وسوف احتفظ بـ" كارنوك" وقال محتدا - " ماذا تعرفين عن إدارة مكان كهذا ؟ إنه ليس طراز حياتك وقد اعترفت بذلك وكيف ستديرين اعمالك من " كارنوك" ؟

وقاطعته منفعلة

- " حياتي ليست من شؤونك . " ومع ذلك ، فقد كان على حق . والمنطق يستدعي ان تقوم بالبيع باسرع ما يمكن ، ولكن كان هناك شيء واحد مؤكد ، وهو إصرار مسز " تريمين " على حرمان " إيثان " من ان يعيش في هذا المكان .

وكان هذا وحده سببا وجيها بالنسبة لها ، وستبذل كل ما في وسعها لتحول بينه وبين المكان .

كل ما في وسعها . ولكن في داخلها ، كانت تشعر بالوجل لمرارة العداوة التي بدت من تعبيرات وجهه .

ورد هو في تهديد ناعم :

- " بل ساجعله شؤوني . وصدقيني ، ستجدينني في وجهك في كل امر تقومين به ، ولن يوقفني شيء . اي شيء . "

وجفلت للسم الذي يتساقط من لسانه وشعرت بالارتباك وبالوحشة.

إن " إيثان " يمقتها ، وكان هذا حريا بان يدفعها للانتحاب .

الفصل الخامس

ارتمت روكسي" على مقعدها مجهدة وقد توتر منها كل عصب ، وانت كل عظمة من عظامها ، واخذ المحامي يشرح لها الإجراءات التي لم تستمع إلى شيء منها تقريبا .

كان "إيثا جالسا في سكون وقد تمالك نفسه . حتى ان تنفسه قد صار اكثر انتظاما من تنفسها . إنه رجل نو إرادة فولانية .

وقال المحامي:

- " من الافضل ان تنتهي هذه العداوة ، فهي ليست محبذة بين الجيران:

ووافقه "إيثان" قائلا بنعومة :

- " كلا ، لا يليق بهم ذلك . وادركت روكسي من الفظاظة التي تختفي وراء كلماته انه لن يرضخ للامر . واستطرد : - " إنك تعلم مدى مشاعري بالنسبة للمكان ، فحاول يا "چون" ان تنقلها إليها .

وساله المحامي حين راه يخطو خارج الغرفة :

- " إلى اين يا " إيثان " ، إن هناك نقاطا قانونية لابد من تصفيتها:

فرد مغتما :

- " ذاهب لأرى أنابيل " والتفتت "روكسي" إلى المحامي مشتتة الذهن وسالته - " ماذا افعل الآن ؟ . "

فاجابها :

- " لا استطيع ان انصحك فـ " إيثان " عميلي . تكلمي مع محاميك اواحد اصدقائك . اما انا فساتولى إنهاء الإجراءات ، اليس كذلك ؟ "

فهزت راسها محاولة ان تتفهم الموقف بكل ابعاده ، ولكن عقلها لم يكن قادرا بعد على استيعاب حقيقة امتلاكها لضيعة مترامية الأطراف . واخذت تتطلع إلى الخرائط وراسها يدور . فليس من طبع الثراء ان يهبط على رؤوس البشر هكذا دون عناء او كلل . ومن ثم كان الموقف ابعد ما يكون عن التصديق .

وسلمها المحامي رزمة من المستندات ، وبطاقته وانصرف . وقررت "روكسي" ان تطلب " چو " ففعلت ، وساعها ان ينفجر ضاحكا ، ونهرته، قائلة : - " چو " ليس في الامر ما يضحك . " فرد وهو يغالب الضحك:

- " بل هو كذلك . والآن عودي إلى رشدك وكفي عن تغفيلي هكذا ... "

فصرخت فيه :

- " انا لا افعل . إنني جادة في كل كلمة قلتها ليس لدي فكرة متى اعود ؟ ، فلدي الكثير من الأعمال هنا "

- " ماذا ؟ في الريف ؟ شراء حذاء برقبة طويلة مثلا ؟ " وعاد ينخرط في نوبة اخرى من الضحك ؟ وتملكها الغيظ . فكل إنسان يتصور انها لا تصلح لشيء إلا ارتياد المطاعم الفاخرة ، والجلوس خلف مكتب ، . واعطت " چو " بعض التعليمات ، وانهت المكالمة .

واتجهت إلى نافذة واطلت منها بعينين زائغتين إلى المماشي المكسوة بالنجيل يحفها من الجانبين الشجيرات والاسوار العشبية المنسقة بكل عناية . لا بد وان " إيثان " قد بذل جهدا لا ينكر في اثناء إقامته في المكان . وكانت الأشجار المزهرة يتساقط منها بعض من اوراق ازهارها على بساط الازهار المختلفة بديعة الالوان الممتد على جانبي مدخل المنزل .

وجذب المنظر الابتسامة إلى شفتيها ، إلى ان دخل " إيثان " فاعادها إلى الأرض مرة اخرى حين نظر عابسا إلى محياها المبتسم ، ثم

انسحب وراء قناعه البارد . وكان ممسكا بكاس من الشراب يهزه في يده ، حين رآها تنظرإلى الكاس اشار إليها به وقال في سخرية :

– " أرجو الا يكون لديك مانع ، فالشراب ملكي ولكن الكاس ملكك . " فردت بهدوء :

– " ليس الموقف سهلا علي انا الاخرى "

– " وسيزداد سوءاً . لقد ذهبت "انابيل" إلى الفراش مع قنينة من الحبوب المنومة . وسنغادر المكان فور ان تصحو من النوم . والآن، هل تريدين الغداء ؟ فهزت رأسها ، فقال : – " فلاصحبك إذن إلى جولة في الطبيعة . "

ورمشت " روكسي " سائلة :

– " ماذا ؟ . لماذا ... " فرد ببرود" اريد ان اقنعك بعدم جدوى تملك ضيعة آل "تريمين" . هيا ارتدي شيئا مناسبا ، وسانتظرك في الخارج . "

ولم يكن لديها سوى سترة علوية من قماش وبري ذي لون احمر قان يخطف البصر ، وبنطلون چينز ، بدلت فيهما ملابسها مسرعة ، ثم ارتدت حذاء خفيفا ولحقت بـ " إيثان " فوجدته يتطلع إلى شجرة ضخمة الحجم واخذت فترة ترقبه دون ان يراها .

وبدا لها وكانه ولد ليطوف في جنبات الريف . كان واقفا في ملابسه العادية العملية، ساكنا سكون الغابات ، شامخا كالشجرة التي تعلوه . وضايقها ان تحس إحساسا سخيفا بانها على خطا في مشاعرها .

إنها تشعر بانها بالتاكيد غريبة على ارضها ، متطفلة عليها ، ولكن سوف يتغير بمرور الوقت ، ومع ذلك فقد كان يساورها الإحساس بان إيثان " على حق . ثم تذكرت . إنها لا تنوي الاحتفاظ بالضيعة ، فهي عازمة على البيع .

وتجرات بالقول :

– إنها شجرة بديعة " إذا كانا يزمعان التجوال فترة طويلة ، فلا باس من ان يتصرفا كمتحضرين .

ورد باقتضاب :

– " إنها تحتضر . " فصعدت فيها بصرها :

–اوه ، إن اوراقها وارفة . " فرماها بنظرة حزينة :

– " إنها لن تعمر في تقديري اكثر من عشر سنوات . فصاحت دهشة:

– " ياله من عمر ! "

– " بالنسبة لعمر الاشجار ، إنه ليس عمرا على الإطلاق إن بها اجزاء قد ماتت ويجب التخلص منها فورا . وانظري إلى تلك " واشار بإصبعه إلى شجرة صنوبر قد ظهرت شقوق عميقة على لحائها :

– " إنها في حاجة إلى نفس العملية . "

وسالته وهي تسرع الخطا لتلاحقه :

ولماذا لم تفعل ذلك ؟ قال عابسا :

لقد ذكرت لك . إن المنزل كان في حالة فوضى عارمة ، وما كان يحيط به كان احراشا . فلا تلوميني على ما لم اتمكن بعد من فعله ، فقد كان علي ان ارتب اولوياتي . كما ان " انابيل " قد اخذت جزءاً من وقتي ايضا . "

– " اسفة . ولكن لماذا لم تنفق مسز " تريمين " على العناية بالمكان ، وقد كانت موسرة . لا اعتقد ان والدتي عاقتها عن هذا " . فرد عابسا وهو يتلمس شجرة لبلاب قد التفت حول جذع شجرة :

– إن امي كما تتذكرين قد تحولت إلى إنسانة معتزلة للعالم ، ولم تسمح لاحد ان يطا " كارنوك " عدا من يجلبون لها متطلباتها . " واخرج من جيبه مدية حادة :

– "يجب ان تقطعي كل شجرة لبلاب من فوق كل شجرة ، و تجتثيها من جذورها . كل اثر لها يجب ان يجتث " واتسعت عينا روكسي :

– " انك تتعمد ذلك ! تتعمد ان تجعلني اعتقد ان هناك اعمالا اكثر بكثير من الواقع ! لا يتاتى لاحد ان يجتث كل فرع لبلاب من كل شجرة... "

فقاطعها قائلا :

– " بل يجب عمل ذلك ، فإذا لم تصدقيني ، فاسالي غيري " ثم صاح ممتقعا : " روكسي " ، إنك لا تتعاملين مع امر يتطلب قرارات سريعة . إن الأشجار محتاجة إلى التنفس . ربما تبدو لك اشجار اللبلاب لطيفة المنظر ، وربما تبدو لك الأشجار الأخرى جيدة، الصحة ، ولكن على

مدى عشر سنوات ، او عشرين، او ثلاثين ، لن تكون كذلك . إنها عملية محتاجة إلى صبر واناة ، فانت تعملين شيئا للاجيال القادمة".

وصمتت وهي تجيل بصرها في حجم العمل الخرافي المطلوب إنجازه . فقد بدت اشجار اللبلاب وكانها تصارع الحياة مع كل شجرة ليس امامها إلا البيع . فبجوار مدبرة منزل ، ومديرلاعمالها ، ستحتاج إلى من يعتني بالاشجار والنباتات ، وهي غير متاكدة ان مواردها ستكفي كل هذا لو قررت تصفية اعمالها الاخرى . ولم تكن تريد هذا من جهة اخرى بالتاكيد .

وانطلقا وشمس الربيع تسطع على وجهيهما . وتوقفت نشوى امام صف من ازهار البنفسج لم يخطىء انفها رائحتها ، ولم يخطئ بصرها الوانها الرائعة بقلبها الأزرق المحاط باوراق بيضاء .

وسرعان ما حكت انفها لرائحة نفاذة ، وسالت :

- " هل هذا ثوم ؟ " فرد باقتضاب :

- ثوم بري ، تعالي لتشاهدي البستان "

وبدا لها اكثر غضبا وتوترا ، وشق لنفسه شعبا ينفذ منه ، وتبعته وقد نالت منها اشواك اعشاب العليق ، حتى صرخت وهي تنظرإلى الندوب التي بدت في يديها . فعلق قائلا :

- " يتطلب تطهير الأرض من الأعشاب الشائكة جهدا كبيراً .

قالت وهي تحملق حولها :

- "من المحتم ان يتم ذلك " . إن العمل المطلوب يتصاعد امام عينيها ، وهو من ناحيتها لا يالوجهدا في أن يجعل هذا واضحا لها .

وتطلعت امامها ، ونسيت ما بينهما من عداوة ، وصاحت مهللة :

- " اوه يا " إيثان " يا للمنظر الرائع ! "

- كان امامها صفوف وصفوف من اشجار كثيرة العقد ، تتمايل افرعها وقد اثقلت بالازهار والبراعم ، وانطلقت على النجيل الطويل تجري بينها ، وتدور حول نفسها في نشوة ، إنها تملك بستانا بما فيه من اشجار تفاح وكمثرى و... وعادت جارية نحو" ايثان وقد تملكها الحماس ، وتوسلت إليه :

- " خبرني عن هذه الانواع .

وشعت عيناه بالالم وهو يتراجع عنها ، وثار قائلا :

- " إنها مدمرة " ثم اعطاها ظهره .

واستدارت إليه ثم وقفت امامه متحدية وصرخت فيه :

- " اعلم ما تريد ان تصل إليه ، إنك تخدعني .. "

فقاطعها :

- " إنني اقول الحق . إن الطبيعة كلهافي اسوا حال ، فمتى يدخل هذا في عقلك المغلق ؟ . اتظنين انني اسعد بان اراها تسير إلى الدمار؟ إن قلبي ينفطر حزنا كلما سرت فيها . "

وردت عليه في إصرار :

- " بل إن الأمر لا يتطلب سوى إدارة جيدة . وكما امكنني ان ادير اعمالي ، فلن اعجز عن ان ادير الطبيعة " فصاح فيها محنقا :

- " رحماك يا رب ! يجب ان تعلمي ما يجب عمله اولا . فالمدير الجاهل لن ياتي بخير ، مهما كانت طبيعة العمل ، ويجب ان تدركي ذلك . فهنا يجب ان تفكري فيما امامك ، وفي المدى البعيد في نفس الوقت . تفكرين في تبديل المزروعات على مدى ثلاث سنوات ، اوخمس وايضا على مدى خمسين عاما ومائة . إن عليك ان تفكري بما يتجاوز فترة وجودك في الحياة ، فهل خطر ذلك ببالك ؟ " قالت وهي تهز راسها بعناد ، شاعرة في داخلها بالتعاسة :

- " سوف اتعلم فرماها بنظرة اشمئزاز ، وقال :

- " من المستحسن " واستانف السير .

وصعدا كومة اشرفا منها على منظر للتلال الممتدة إلى الغابة ، وفواصل سوداء تفصل بين الحقول المتباينة الالوان ، من الاحمر القاتم إلى الأخضر في افتح درجاته . ووضعت "روكسي " يدها على جذع شجرة صنوبر اسكتلندية باسقة ، مبهورة بالوانها التي تلاحظها لأول مرة .

وشعرت بالسلام يملأ جوانحها ، وربتت على لحاء الشجرة وهي تفكر كم ستكون الإقامة في ذلك المكان مدعاة للراحة . وشدا طائر من فصيلة العنادل ابتسمت له وقالت برقة :

- " اريدك ان تعلمني " . فتنهد ثم قال :

- " إن أمامك الكثير من الأساسيات يجب ان تعرفيها ، ونمط للتفكير وللحياة خاطيء يجب تغييره .

إنه عالم مختلف جد الاختلاف عن مجتمعك الذي يعيش يومابيوم .

" روكسي" إنني لم اسال احدا معروفا من قبل ، ولكنني سافعل هذا الآن، لا تحاولي ان تديري المزرعة من بعد ، فذلك كفيل بتدميرها . "

وكارنوك " تستحق منك اعتبارا اكثر . إنني انصحك ان تبيعيها عن ان تسلميها لمن يديرها دون رقابة"، وتململت في ضيق ، فقد كان على حق، وسالته :

- " هل قررت الا تطعن في الوصية ؟

- "لا ، ولكن هذا سيستغرق وقتا طويلا ، ويمكنني الانتظار ، ولكن لا اريد ان اتسلمها خرابا ؟

ودارت عيناها في الحقول الممتدة إلي الافق ، وكسا الجد وجهها وهي تفكر في معنى الأجيال . لو غرست الآن شجرة ، فسوف ياتي اناس لم يولدوا بعد ليسيروا تحتها يوما ما ، يستظلون بها ، او يسترخون في رحلاتهم الخلوية ، او يتطارحون الغرام او حتى مجرد ان يتاملوها . وقالت ببطء :"

-" ياله من معنى سام مثير للإغراء"

واغمضت عينيها ، ولمع ضوء الشمس على وجهها المرفوع إلى اعلى وداعبت انفها روائح شذية ، بينما الازهار تصدر حفيفا هامسا في تمايلها مع النسيم ،

وشعرت فجاة بانها تنصت لحقيقة ، ولاول مرة في حياتها إلى حفيف النباتات ، وكان صوت جرار ياتي من بعيد مختلطا بطنين النحل . ثم مرق طائر بالقرب ، مخرجا كل ما يحمله في قلبه في اغنية عذبة .

وشعرت ببدنها كله يسترخي ، وزفرت قائلة :

- " إنك على حق . حتى فتاة المدينة مثلي يمكنها ان تقدر قيمة الحياة هنا" وادارت راسها لـ "إيثان "، فوجدته يراقبها عن قرب ، وكانت عيناه تفيضان برغبة جامحة اهتزت لها مشاعرها . لا عجب في ان يكون راغبا في "كارنوك " بكل هذه القوة . ومدت يدها إليه في

تعاطف .

وجفل بعيدا عنها مغمغما .

- " لا تلمسيني " فهمست له :

- " إنما اردت ان اقول إنني مقدرة لمشاعرك " فرد بوحشية :

- " احقا ؟ إذن فافهمي هذا "

واطبق على كتفيها قبضة فولاذية ، وضمها إليه ، وسحقت شفتاه شفتيها ، ثم ارسلها وهي تشهق . وسالته في تعاسة :

- " لماذا تفعل ذلك ؟اتريد ان تظهر لي مدي سطوتك بالنسبة لي ؟ إنني اعلم انك اقوى مني جسدياً ، ولا داعي لان تثبت هذا مرة بعد اخرى ورد عليها متناغما :

ولم لا ؟ لماذا لا احاربك بكل ما يتاح تحت يدي من اسلحة لقد سبق ان قلت وقلت لك إنني لا اعرف الشفقة . "

قالت في هدوء :

- " فهمت . اكتساح لكل الحواجز " فلمعت عيناه وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وقال متمتما :

- " مهما كانت " استغرقت الجولة ثلاث ساعات ، شعرت " روكسي " بعدها بالإجهاد و الجوع حين عادا إلى المنزل . كما كان راسها يدور لكم المعلومات التي سردها عليها في اعتداد بالنفس ثارت له ثائرتها . وكانت إحدى المشاكل ان " إيثان " سوف يسحب كل الماشية ، وعليها ان تجد غيرها لتاكل العشب وإلا تحول المكان إلى احراش مرة اخرى .

وصنعت لنفسها شطيرة وهي منخفضة المعنويات . اما " إيثان " فقد اخذ طعاما صعد به إلى اخته لياكلا معا . وشعرت " روكسي " بالوحدة والضياع . ماذا تراها فاعلة ؟

إن "جو" لن يكون عونا لها ، وكذا اصدقاؤها سيفكرون مثله . إنه جنون مطبق مجرد ان تكون في الريف ، ناهيك عن الإقامة فيه .

عليها ان تبيع بلا شك . إن لديها اعمالا تديرها ، تلك التي اعطتها حبها وكل مشاعرها ، وها هي ذي في سبيلها إلى الانطلاق واخذت تذرع الشرفة ، تراقب بلاوعي طائرا اسود كبير الحجم يحمل حزمة من الأفرع الصغيرة في منقاره ، حط بها على شجرة ، ثم اختفى داخلها .

إن عليها أن تذهب إلى المكتبة لتعلم انواع تلك الطيور .

ووجدت نفسها في حاجة إلى قلم واوراق لترتب خططها . ولما كانت نافرة من أن تطلب شيئا من " إيثان " ، فقد قررت ، أن تبحث لنفسها عن شيء مناسب.

أخذت اصابعها تتحسس الدرابزين المصنوع من خشب البلوط ، الذي يحاكي الزجاج في لمعانه .

ليست والدتها وحدها ، بل أجيال من النساء قمن بتلميعه . واخذت تنظرإلى كل تفاصيل المكان بعينين مليئتين بالانفعال : الستائر المهلهلة ، ودرف النوافذ التي دب البلى في خشبها ، والتماثيل والدمى الصغيرة المعدة للتجميل وتزيين المكان ، وقد كدست فوق بعضها .

وكان جهاز التليفون هو الشيء الوحيد الحديث في غرفة النوم الرئيسية . واخذت تتحسس كالحالمة اغطية السرير ذي القوائم الأربعة ، ثم وضعت خدها على الستارة المخملية "

قفزت ، ورفعت عينيها المذعورتين نحو" إيثان " :

- " لقد كنت ابحث عن قلم وبعض الأوراق .

- " هنا ، في حجرة امي ؟ " إنما كنت تتجولين في المكان . تقدرين حجم غنيمتك ؟ " وهزت راسها منكرة :

- " لا تكن غاضبا مني ، ليس هذا عدلا .

وزمجر قائلا :

- " ليس عدلا ؟ انت ، يا من لا تنتمين لأل " تريمين " بصلة ، تحوزين المكان بوسائل شريرة خسيسة ، ثم تدعين أن غضبي ليس عدلا؟"

قالت ممتعضة وهي متجهة إلى الباب :

- " لا جدوى من الحديث معك . "

ومد يده ممسكا إياها . ووقفت هي منتظرة في صبر إلى أن يمل إزعاجها ، متذكرة عدم جدوى مقاومته .

وسالها محتدا :

- " هل ستجعلين من هذه الغرفة غرفة نومك ؟ " فردت متحدية :

- " وماذا لو فعلت ؟ إن المنزل ملكي ، افعل فيه ما اشاء " فسبها

قائلا:

- ايتها الفاجرة ، لا اتصورك هنا ابدا . "

ورفعت حاجبيها ساخرة :

- " اهذا نتيجة لمشاعرك ، أم تراني يجب ان اقبع في اماكن الخدم ؟ "

وسرى الرعب في جسدها لطريقة نظرته إليها .

- " يبدو ان لك اخلاقا مبتذلة ، لا تتورعين عن بيع جسدك لقاء ما تريدين الحصول عليه من معلومات . " وزار في وجهها مشددا من قبضته ، " إن نساء مثلك لا ينتمين إلى هذا المكان "

وردت عليه بنظرة باردة كالثلج :

- " لم اكن لاسمح لك أن تنال من جسدي ، بل إنني اتقزز للمسك في الواقع"

وكانت في هذا كاذبة . فضغطة إبهامه على ذراعها البض كانت تشق طريقها إلى اعماقها . وإذا لم تتحرر من قبضته على الفور ، أو تهينه حتى يتركها متقززا ، فلن تستطيع أن تحافظ على انتظام انفاسها ، وسيعرف على الفور كم هي ممتعة لمسته إياها وسالته في لهجة من ضاقت به ذرعا :

- " كم من الوقت تنوي ان نظل واقفين هكذا ؟ إن هذا لن يخدم اي غرض . إنك تتصرف بطريقة غاية في الإملال . "

واسودت عيناه حتى رات الغضب فيهما مجسدا . لقد اساءت تقدير ما هي فيه من خطر . واخذ إبهامه يدير لحم ذراعها حتى بدا أن جسدها كله قد تركز في تلك البقعة وقال برقة :

- " إني اريدك . "

وردت عليه :

- " بل تريد " كارنوك " وليس انا "

- " اريد كليكما ، واستطاعت بصورة ما ان تضحك ، وامالت راسها في تحد متعال تبين له انها ليست خائفة ، ثم قالت في هدوء ، مبتسمة ":

- " يا للحسرة ، إنك لن تنال ايهما . "

وجاوبها في هدوء :

- " بل سافعل ، لانك سرعان ما ستريدينني انت ايضا .

ولن اترك يوما يمر بك إلا وانت تفكرين في ، وترغبينني . "

وغمدنصلا من السرور في قلبها للهجته الفياضة بالمشاعر . إنه في منتهى الصلف ، والثقة منها . لقداستمر في السخرية إلى ان اجبرها على الاعتراف بجاذبيته .

وقالت له هازئة :

- " إنني محصنة ضدك .. وخصوصا بعد ان اهنت اسم والدتي ، وبعد ان بينت انك لا تبغي إلا لذة الجسد فقط "

وشدد من ضغطته على ذراعها وقال من بين اسنانه :

- " إنك امراة قوية ، ولكني اقوى منك "

- " لو تورم ذراعي ، فسوف اشكوك إلى القضاء بتهمة العدوان "

وقال لها ثائرا :

- " اعطيني سببا واحدايمنعني من ان ادق عنقك "

- " لأن الضيعة ستؤول حينئذ إلى الدولة . "

وخفف من قبضته قائلا :

- " لقد كسبت إلى الآن "

قالت وهي تتفحص اثار قبضته :

- " الصحيح ان تقول إني كسبت ، وإلى النهاية .

عد إلى منزلك الجميل يا" إيثان " ، ودعك من احلام العودة إلى هنا "

وابتسم بمرارة :

- " هذا لن يكون . "

راقبته ينصرف ، ثم تنهدت في ارتياح ، مختلطة المشاعر . إنها تتفهم حبه للمنزل ، وإصراره على الا يفقده . ولكن تعاطفها هذا يشوبه إسلوبه في محاولته للوصول إلى هدفه .

ولكن .... ليس لها ان تنكر انها وجدته مثيرا للإعجاب ، امتعتها قبلاته ، اثار فيها مشاعر لم يثرها رجل من قبل ، تدفعها لمحاولة التعرف عليه اكثر ، ومحاولة تحويل الرغبة الجسدية إلى شيءاكثر

رقيا .

ولكن طالما حاول إغراءها والسيطرة عليها ، و كان هذا مستحيلا ، وجب عليها ان تظل متباعدة عنه .

وبعد مدة ، قررت ان تكف عن التفكير في " إيثان " ، وان تنصرف إلى استكشاف المنزل . ورات انه لاباس به عموما ، إلا من بعض آثار للرطوبة . وحين وجدت ما تكتب به ، اخذت تسجل افكارها كلما عنت لها في جولتها ، تمهيدا لأن تطلب سمسار العقارات بعد ذلك .

وتوقفت عند نافذة ، فوجدت الطائر الأسود لا يزال مشغولا بدس الأغصان في الشجرة . ربما تذهب إلى المكتبة عصر ذلك اليوم ، فليس لديها ما يشغلها . كما انها لا تملك لفرط إجهادها ذلك الصباح ، إلا ان تجلس طلبا للراحة . وكان "إيثان " في الصالة يشتري سمكا من احد البائعين ، حين رآها تبحث في دليل التليفونات فسالها :

- " ماذا تريدين ؟ " فردت ببرود :

- " تاكسي " .

- " إلى اين ؟

إلى المحطة ؟

- " لاتتمادي في احلامك .

- " إنني ذاهبة إلى بلايوت "

- " سوف يكلف هذا ثروة ، سوف آخذك إلى هناك . انتظري حتى اضع السمك في الثلاجة

- " بل اريد ان اذهب بمفردي " ومضت تقلب الصفحات

- " هل تزمعين شراء بعض الأشياء ؟ اخشى الا يتبقى شيء من ثروة امي حين تؤول إلي ، طالما دابت على هذا الإسراف . "

- فكرة جيدة . في الواقع كنت ازمع التوجه إلى المكتبة ، ولكن لا باس ايضا من بعض المشتريات "

وقال ساخرا :

- " مكتبة ؟ انت ؟ "

- " طالما ساظل هنا إلى الأبد ، يجب علي ان اعرف شيئا عن الطيور التي تعيش في حديقتي ، وتعشش في اشجاري "

- " لا تسرفي في التفاؤل . "

وابتسمت ابتسامة واهنة ، واخذت تدير القرص . ولكنه هوى بيده قاطعا الخط - " لدي كتب كثيرة عن الطيور ، يمكنني ان اعيرك إياها . "

- " ليس في المنزل كتب ، ولا مكتبة . "

قال عابسا :

- " بعض الكتب ارسلت لإعادة التجليد ، وبعضها اخذتها إلى منزلي لتحفظ بطريقة افضل ، والبعض في غرفة نومي ، الم تريها ؟

وهزت راسها :

- " سوف احضرها في خلال دقائق . واتجه إلى المطبخ ، وسمعت باب الثلاجة يفتح ، ثم يغلق . واتجهت هي إلى النافذة ، في الوقت المناسب تماما لكي ترى احد طيور التدرج يسير متباهيا ، ثم سمعت صوت طائر فوق راسهاوقال " إيثان " وهو ياتي من خلفها :

- " اسمعت تلك الصيحة ؟ .

- " إنه النورس ، احد طيور البحر ، اين هو ؟ " فقال هازئا :

- " بل هو الصقر الحوام . إنه له صيحة احد واقصر ، اشبه بمواء القط ، انظري ، هذا هو . "

حملقت في إعجاب شديد . وكان هناك ثلاثة منها في الواقع ، تنساب في الهواء دون ان تصفق باجنحتها . وملئت نفسها بالإجلال لهذه المقدرة لطائر بهذا الحجم على ان يظل في الهواء بهذا الشكل . واستدارت لتقول شيئا لـ"إيثان " فوجدته قد انصرف ، فشعرت بخيبة امل إذ لم يكن بجوارها ليشاركها سرورها . ولكنها عزت نفسها قائلة : إنه ربما كان ذلك افضل . وعاد ليدس بين يديها كتابا عن الطيور وانصرفت هي إلى الشرفة لتستغرق في جمع ملاحظات لم تكن واثقة انها ستعيها كلها في ذاكرتها ..

كان الطائر الأسود يسمى غراب الزيتون ، ودققت فيه النظرفرات ان له راسا رماديا ، واستغرقت في قراءة طباعه .

- " يدهشني هذا منك ، لقد ظللت ساعات بلا ملل او كلل . "

ورفعت راسها وعيناها تشعان لما اكتشفته ، ولكنه اشاح ببصره عنها ، وكان واضحا عدم اهتمامه باكتشافاتها الجديدة . فكلها ليست جديدة عليه بالقطع . وتضاءلت حميتها .

وقال باقتضاب :

- " لقد تناولت مع " انابيل " عشاء مبكرا ، وسوف نغادر المنزل بعد فترة . وليس بالمنزل لبن ، فإن اردت شيئا ، فعليك ان تحصلي عليه بنفسك . "

وردت بسخرية :

- " لست ماهرة في حلب الأبقار . "

والقى إليها بالمفاتيح :

- " خذي سيارتي الأخرى ، استديري يسارا بعد الممر ، ستجدين جرنابه اللبن في زجاجات . ولا تنسي ترك النقود . "

قالت وهو يعود ادرجه :

- " إن الناس يلقون ببعضهم هنا "

وتجاهلها ، وتنهدت ، ثم اخذت حقيبة يدها واتجهت إلى الجراج . وكانت سيارته الثانية قديمة فقادتها عبر الممر في عصبية متبعة الاتجاه الذي ذكره لها وكانت الطرق ضيقة كثيرة الانحناءات والتعاريج ، اضطرت إلى استخدام بوقها مرات ومرات ومع ذلك ادخل السرور على قلبها، الأزهار التي تحف بالطرق ، وتحتك بجانبي السيارة وكلما تعرفت على نوع منها ازدادت سرورا . واخذت حاجتها من اللبن ، ودهشت لكمية النقود الموضوعة فوق مائدة في الجرن ، ثم عادت ادراجها

ومرقت ومضة صفراء امام عينيها ، فشدت انتباهها لحظة ، متسائلة إن كان هذا هو نقار الخشب ، ولم يكن لديها وقت لان تطلق النفير قبل دخولها منحنى حادا .

وشهقت لرؤيتها جرارا ضخما متجها ناحيتها . وضغطت دواسة المكبح بكل ما تملك من قوة ، ولكن الجرار ظل متقدما تجاهها . ولم تحاول لفرط حنقها ان تشتبك بالكلام مع السائق ، واطاحت بناقل السرعات في اتجاه السير إلى الوراء .

ولم يكن ذلك بالأمر السهل ، فقد ضللها ضيق الطريق عن ان تقدر المسافة التقدير السليم ، فاحتكت جوانب السيارة وهي تعود القهقري، ولكن الرعب تملكها وهي ترى ان السائق كله إصرار على الاصطدام بها بكل عنف .

الفصل السادس

اخذت "روكسي" تجاهد للحفاظ على حركة السيارة ، وتحذر السائق في نفس الوقت باضواء سيارتها . ووضح في ضوء ومضات السيارة المتلاحقة ، ان السائق كان ملثما بطريقة غير عادية بالنسبةلذلك الوقت من السنة وإن الأمر لا يمكن إلا أن يكون مقصودا . ، وتقلصت امعاؤها ...

واخذت تدعو أن تصل إلى الساحةالموجود بها محل اللبن قبل أن يصدمها .

ولكن الجرار كان قد سحق واقي التصادم لسيارتها قبل أن يبدا في التحرك إلى الوراء .

وجلست " روكسي " تنتفض .

- " عفوا يا آنستي ! "

والتفت روكسي فوجدت ريفيا مرحا ينظر إليها من خلال السيارة .

- " اتسمحين أن تتنحي جانبا حتى آمر ببقراتي . "

وتابعت حركة راسه بعينيها ، فوجدت قطيعا من البقر متجها

ناحيتها ، وكان هذا يفوق احتمالها ، فهزت راسها كالخرساء ، واتجهت إلى جانب الطريق ، لاتكاد يداها تمسكان بعجلة القيادة .

كزت على اسنانها . إن قائد الجرار لم يتراجع عن سحقها إلا لرؤيته قطيع البقر ! وخطر لها وهي ترد على صيحات شكر الريفي بتلويحة ضعيفة ، إن سائق الجرار إما أن يكون رجلا من المنطقة ، يحمل ضغينة خاصة للغرباء ، او وتملكها الغثيان . واودعت السيارة الجراج بعناية ، ثم اتجهت إلى الداخل ، وصبت لنفسها شرابا .

لقد طلب منها " إيثان " ان تذهب لشراء اللبن ، وبين لها الطريق ، واعطاها المفاتيح ، فهو إذن يعلم اين ستكون !

واخذت تذرع المكان . لا يمكن ان يكون هذا صحيحا . لا يستطيع إيثان " ان يلعب هذه اللعبة الخطرة معها . ورنت راسها عبارته :

- " اي شيء . واخذت تحملق في الفضاء

لم يعد "إيثان" إلا متاخرا " ، إذ انتظرته " روكسي " حتى ملت وذهبت إلى الفراش ، في الوقت الذي وصل هو فيه . فاندفعت كالعاصفة الهوجاء غضبا إلى الطابق السفلي ، غير متنبهة ، او عابئة لملابس النوم التي ترتديها ، و هي التي لا تغطي إلا النذر اليسير من جسدها . فهو على اية حال لن يتجرا ان يفعل شيئا واخته بجواره .

ولكنها توقفت في ارتباك حين راته وحيدا .

اما هو فقد اخذ يلتهمها بعينيه ، ثم قال في نغمة ممطوطة :

- " مرحى ، مرحى ، ياله من استقبال حافل لرجل يعودإلى منزله . "

واندفعت قائلة :

- ماذا تعرف عن الجرارات التي في ذلك الطريق . "

واشارت بإصبعها ، مؤملة ان يكون الاتجاه صحيحا .

وابتسم حتى بدت اسنانه الناصعة .

همهم قائلا اعلم عنها انها ضخمة - مطلية باللون الأحمر ، كثيرة الضوضاء .... "

وصرخت فيه :

- إنك تعلم ما اقصد ، ذلك الذي صدمني اثناء القيادة ....

وثار :

- " ماذا ؟ سيارتي ... "

- " سيارتك ؟ وماذا عني انا ؟ "

- " إنك في أحسن حال ، اليس كذلك ؟ "

- " بدنيا ، نعم ، ولكن الأمر تطلب كاسين من الشراب حتى تمالكت نفسي "

وغمغم : - "ثملة انت مرة اخرى ؟

- " لا ، لست ثملة . والآن ، ماذا عن الجرار ، هل كنت تحاول ان ترعبني.

وانفجر ضاحكاً : بجرار ؟ إن لدي وسائل افضل "

وتقدم منها عدة خطوات ، وهو لا يزال مبتسما فتباعدت عنه وهي تغلي من الغضب

- " ابتعد عني لقد كنت تحاول قتلي ..:

- " لا تكوني سخيفة . من الافضل ان تحكي لي عن ذلك الجرار "

واستمع إلى القصة بابتسامة باهتة ، ثم ذهب يفحص سيارته .

وحين عاد ، سالها باقتضاب :

- " هل صدمك الجرار من جانبي السيارة ؟ "

- " لا "

إذن فالخدوش التي على الجانبين من فعلك انت ، وبالمثل ما حدث لواقي التصادم ؟

اتريدين ان تلقي باللوم على احد حتى لا تبرهني على سوء قيادتك؟

- " لقد ذكرت لك ، لقد تعمد الرجل ان يسبب حادثة ، وان يرعبني "

فزمجر قائلا :

- " لا اريد قصصا خبيثة . اريد إصلاح سيارتي "

وعلمت انه لا جدوى من مجادلته ، فرمقته بنظرة متعالية . واتجهت إلى السلم .

وجاءها صوته ببضع كلمات غزل بذيئة ، تبعها بضحكة مجلجلة ... يا له من خنزير قذر .

وأوصدت عليها بابها رغم ما ذكره لها من قبل عن الأمان في المنطقة فإذا كان اهلها يؤمن جانبهم ، فهي لن تدخل " إيثان " في ذلك التعميم . وراحت في نوم عميق في السرير الضخم ، وقد هدتها احداث اليوم ، وساعدها هواء الريف .

واستيقظت كاليوم السابق على شقشقة الطيور . واوحى لها ذلك بما يجب أن تفعله كخطوة تالية . أن تحضر مسجل صوت لتتعرف علي اصواتها . وابتسمت للفكرة .

وحين نزلت مرتدية نفس ملابس اليوم السابق ، وجدت مذكرة تخبرها بأن انابيل " قد انتقلت الليلة الماضية للمنزل الآخر ، وانه قد اتجه لعمله .

رائع ! إنها وحيدة ! وجهزت لنفسها شريحة ضخمة من عسل النحل ، اخذتها إلى الشرفة التي كانت دافئة في هذا الصباح .

وبعد فترة ، ذهبت تتمتع بالتجوال ، عالمة انه ما من احد سيزعجها. ومضت تتحسس لحاء الأشجار ، وتداعب ما يصادفها من ازهار برية ، و تتنسم عبيرها الفواح وساد الصفاء نفسها التي غمرتها السعادة ، فتباطات حركاتها عن حماسها المعتاد ، ومضت تقطف من الأزهار حتى لم يعد لديها متسع للمزيد .

ولكنها لاحظت عند عودتها ان ارض المرجة قد تناثرت بها الحفر .

فاتجهت مقطبة الجبين إلى السور النباتي ، وافزعها ان تجد قطيعا من الابقار يتجول في المنطقة بحرية يرعى العشب .

وتراجعت مذعورة ثم انطلقت إلى الشجيرات ، لتجد طريقا بديلا إلى الباب الامامي واعياها الياس إذ راته موصدا ، لم يستجب لطرقاتها ورجها العنيف .

وكانت الابقار قريبة بصورة مرعبة . هذا إن كانت ابقارا ، فهي لم تستطع رؤية اية ضروع لها . وحبست انفاسها ، وجف حلقها من الخوف . إنها ذكور ابقار او ثيران مهما كان اسمها .

وحاولت ان تحافظ على رباطة جاشها . وهرعت إلى الباب الخلفي ، ولكنه كان موصدا ايضا ، ودب الذعر في اوصالها . لم يعد امامها سوى باب واحد ، هو باب الشرفة .

وكانت قد فتحته في الصباح ، ولم تغلقه . واختلست النظر في حذر حول ركن المنزل . وكانت الثيران الصغيرة ترعى في اطمئنان عند السور الامامي للشرفة ، عليها ان تكون غاية في السرعة حتى لا تهاجمها . ونظرت بعصبية إلى قرونها ، وطمانت نفسها بانها لم تكتمل بعد على الاقل .

واخذت نفسا عميقا ، وركضت . وتراجعت الفحول قليلا جافلة ، وانتهزت هي هذه الفرصة لتصل إلى مقبض الباب وتديره . إلا أن الباب لم يفتح ايضا .

وصرخت فيه متوسلة :

- اوه ، ارجوك ، افتح ، ارجوك ! "

وسمعت قعقعة وراءها ، ووقع حوافر على الحجر ، فتجمدت مكانها، وترددت انفاسها سريعة . وادارت راسها فرات احد الثيران قد اتجه إلى الشرفة ، قادما إليهاخافضا راسه وهو ينخر ، واخذت

تصرخ للباب ان ينفتح ، وهي تدير المقبض كالمجنونة .

واحاطت بها الحيوانات في ثوان ، فوقفت وسطها مشلولة الأوصال لا تتجرا ان تحرك عضلة . لم تكن العجول تهددها في تلك اللحظة ، بل كانت تحاول ان تسحقها ، بينما بدا واحد او اثنان يلعق جسدها بلسان خشن ، وشعرت بنفسها تنتفض من داخلها.

ولم تدركم مضى عليها وهي ملتصقة بالباب ، جاعلة نفسها كاقل ما يمكنها سمكا .

ولم يدب الارتياح فيها إلا حين سمعت صوت سيارة .

- " هاي ، هاي " هاي ! "

وهمست باسم " إيثان " بشفتين متجمدتين والحيوانات تتراجع ببطء وصاح فيها

- " ماذا .. " روكسي " ! ماذا تفعلين هنا بحق السماء ؟ "

وفغرت فاها باقصى اتساعه .

وامرها بخشونة :

- " تنحي جانبا يجب ان اطلب المساعدة تليفونيا ، فلن اتمكن من إبعاد هذه الحيوانات عن العشب دون مساعدة . "

وقالت وهي تتنفس بصعوبة :

- " إن الباب مرتج " واختنقت بعدم التصديق لقسوة قلب ذلك الرجل.

وعبس لها " إيثان " وبدا يحاول فتح الباب .

قالت والرعشة في صوتها :

- " لقد قلت لك ، إنه مرتج ، لقد ظللت ساعات ملتصقة بالباب وبهذه الحيوانات المتوحشة . تبا لك ! الا يهمك اني انقذت باعجوبة من الموت وقد كنت ساسحق باقدامها سحقا ؟ "

وتوقف عن محاولة فتح الباب ، ونظر إليها دهشا . ثم انخرط في الضحك ، وظل يقهقه إلى ان مالت راسه إلى الخلف واصابه الإعياء . وعضت " روكسي " شفتها حتى لا تنهال الدموع من عينيها ، وقدبدات تتجمع بالفعل .

وحين راى منها ذلك حاول ان يتحكم في نفسه ، وقال مبتسما :

- " روكسي " ، إنها ليست فحولا . فردت بإصرار :

- بل هي كذلك ، فلم ار لها ضروعا " إنها ليست جاهلة بالريف إلى هذه الدرجة وواصل الضحك :

- " روكسي " ، إنها لا تزال صغيرة لم تبلغ بعد سن النضج "

- " لقد كانت تهددني ... "

- " بل كانت فضولية . إنها تحب البشر . وكانت ستنصرف عنك فور صيحة منك او تصفيقة من يديك . " وكانت الرقة واضحة في صوته ، ثم عادت الابتسامة عريضة على وجهه :

- " إنني آسف ، ولكن جهلك مضحك للغاية . "

وعادت تعض شفتها في حنق ، وقالت بصوت منخفض :

- " إنني لم اتمكن من الدخول ، وكنت في غاية الرعب "

واحاطها بذراعيه قائلا :

- " لا عليك ، انا الآن بجوارك ولن تنالك البقرات باذى إلا إذا رايت ان تصغي تحت حوافرها . هيا إلى الداخل حتى يهدا روعك ثم ارتب شيئا لإخراجها .. وإن كنت اخشي ان تكون قد اغرمت بمرجتي " ثم عبس "

- " اقصد مرجتك . "

وادار المقبض ، ودفع الباب ، ثم قال في دهشة :

- " إن الباب مصمغ من الخارج "

ورمته بنظرة متحيرة ، ثم انحنت لتفحص الباب ، وسرت رعدة في جسدها ، وقالت هامسة :

- " ولم استطع فتح الباب الأمامي و الخلفي ايضا "

- " متاكدة ؟ "

- " تماما "

وتناول " إيثان " مظلة كانت وسط مائدة في الشرفة ، ودفع بها إلى زجاج النافذة ثم هشم بها بقايا الزجاج ليتمكن من إدخال يده ، وفتح النافذة من الداخل ، ودفع بروكسي إلى الداخل ، آخذا إياها إلى المطبخ دون كلمة ، واعد لها قدحين من الشاي .

- " سوف اطلب رجلين ليدفعا بالبقرات إلى المرعى الخارجي ، ثم اذهب لفحص البابين الآخرين ... حسنا ؟ "

- " نعم ، شكرا . "إيثان" .. ما الذي يجري هنا ؟ إن احدا يحاول بث الذعر في نفسي "

- " اشك ان احدا يصل به الأمر إلى هذا الحد إنها مجرد صدف بحتة "

وسالته وقد اتسعت عيناها وسط وجهها الشاحب " الأبواب ؟ "

ربت شعرها برقة ، وود لو تلقي بنفسها عليه التماسا للراحة بين ذراعيه . - " مجرد مزحة عملية ، لقد اكتشف احد الصغار ما للصمغ من قوة ، فراح يجربه على ابواب منازل القرية . "

- " لا ادري ماذا سيحدث بعد ذلك "

- " إشربي مشروبك ، فهذا جزء من متعة الحياة في الريف . "

وضعت قدحها بعنف ، وسالته :

- " هل خططت انت لكل هذا ؟ "

وصاح فيها :

- ما هذا الهراء الذي تتفوهين به ؟ اتظنين اني اترك البقرات لتفسد مرجتي؟

سيستغرق الأمر فصلا كاملا حتى تعود إلى سابق عهدها ، ثم إني لم اصمغ الأبواب، فلا بد ان تنزع من اطرها للإصلاح ، وهي ابواب من طراز چورجي بديع ، لو تحطمت فلن يفيدفيها اي إصلاح . "

وردت مجادلة :

- " هذه هي النقطة ، إنها ليست مرجتك ، ولا باس من ان تضحي ببعض العشب والأبواب إذا اردت ان تفزعني لافر من " كارنوك " .

قال ببرود :

- " ساعود حين تكونين علي استعداد للاعتذار وانصرف .

وصعدت إلى الطابق العلوي ، تراقبه في تعاسة وهو يحاول دفع القطيع إلى بوابة على البعد، رات انها مفتوحة . لقد فتحت بواسطة شخص ما ، مصادفة ... او عمدا .

وصنعت لنفسها عشاء دون رغبة فيه . ربما تسرعت في الحكم ، وان الامر لا يعدو سلسلة من المصادفات . لقد وجد " إيثان " والرجلان الآخران صعوبة جمة في طرد البقرات، رغم مساعدة كلبين في العملية. وبدا غاية في الغضب ، وقررت ان تجعل الشك في صالحه .

وراته يدخل من الشرفة والشرر يتطاير من عينيه .

ورفعت كفيها له قائلة :

- " حسنا ، إنني اعتذر . لقد كنت في منتهى الغباء ، واقر بذلك "

وراته ممسكا بانبوبة صمغ ، فرفعت عينيها فيه متسائلة .

وقال :

- " لقد وجدت هذه في سيارتي التي كنت تركبينها " فسالته :

- " باللصدق "

- " والآن ، لقد اقررت بنفسك .. "

- " اقررت انني كنت غبية حين تصورت تلك البقرات على انها فحول، وربما كنت مخطئة حين تصورت ان احدا يدبر كل هذا لي ، ولكن لا يمكنني ان ادبر انا كل هذا " .

قال وصوته ناعم مفعم بالتهديد :

- " لقد كانت البوابة الأمامية مفتوحة ، وهو شيء لم يفعله احد من المنطقة . فكل إنسان هنا يعلم انه من المحتم الأبقاء على البوابات مغلقة ، لمنع القطعان من التسلل . ربما فعلت انت ذلك ، دون ان تفكري في العاقبة "

وصرخت في غيظ :

- " وما الفائدة التي ساجنيها ؟ "

قال من بين اسنانه ، وعيناه تلمعان :

- " لست ادري اية لعبة تلعبينها يا " روكسي " ، إذا ما كنت تريدين ان تشعريني بالشفقة عليك . فقد كان تمثيلك رائعا انذاك ، بلهجتك السوقية، ثم دور الإغراء الذي قمت به "

وصاحت محتجة :

- " كلا ، إنك مخطيء ، لا يمكن ان ارعب نفسي بتلك الصورة ، ولقد رايت بنفسك مدى ما كنت فيه من رعب "

فلوى شفتيه :

- " لقد كدت اشفق عليك ، فهل كنت تحاولين ان احاول ان اهدئ من روعك ؟ " فصرخت فيه :

- " إنك مقزز "

قال بنعومة :

- " لا اظن ذلك . إنك امراة ثائرة الغريزة ، ولا استبعد منك ان تختلقي مشهدا كهذا ، تلعبين فيه دور المراة الضعيفة ، لاقوم انا بدور الرجل الحامي لك قالت بلا انفعال ، وقد ساءها ان يظن بها السوء لهذه الدرجة :

- " إنك سخيف . "

واختار جهاز التليفون هذه اللحظة لينقذها من نظراته المهددة ، فهرعت ترد عليه ، وجاءها صوت من الطرف الآخر :

- " إيثان .. اهو انت "

فقالت بعد جهد :

- " لا ، انا روكسي "

ورد عليها الصوت بوقاحة :

- " اه ، اهو انت ؟ انا " انابيل تريمين " ، اريد " إيثان "

فصرخت فيها :

- " ها هو ذا معك "

الفصل السابع

ودارت " روكسي " على عقبيها ، ووضعت السماعة جانبا في عنف ، وإيثان " يحملق إليها .

وقالت بحدة :

- " اختك " واشارت إلى التليفون وقطب جبينه :

-كم يكن لك ان تصرخي هكذا " والتقط السماعة ، وغطاها بيده .

-" إنك تعلمين انها ليست بخير ، ولا اريدك ان تكدريها اكثر مما فعلت بالفعل" .

فردت بهدوء :

- " لماذا لا تخرجا كليكما من حياتي " ؟

وجفل ثم انتبه للسماعة في يده ، وكان صوت اخته يكاد يسمع وهو يتذمر واستندت " روكسي " إلى الحائط مشبكة ذراعيها ، فهي لن تهرب منه . وسوف تحسم الأمر معه .

وقال " إيثان " برقة " :

- "انظري ، علي ان اخرج القطيع ، ثم اضع بعض الألواح على

النافذة . تناولي انت عشاءك ، وسوف احضر باسرع ما يمكنني "

وأنهى المكالمة ، بعد عبارات التوديع المالوفة ، وتساءلت " روكسي " عما يكون السبب الذي دفعه لأن يتلاطف مع اخته بهذه الصورة . ونهلت للغيرة التي شعرت بها .

وقال لها باقتضاب :

- " يبدو انك تريدين الحديث معي "

- " اريدك ان تغادر المنزل الليلة ، فلست اريد ان اغتصب في فراشي"

فنظر إليها مليا ، وقال بهدوء :

- " لا اعتقد انني سوف اضطر إلى ذلك ، فسوف تكونين قد دعوتني بنفسك اولا "

ورفعت راسها في تحد ، منكرة ما يعتمل في نفسهابتاثير كلماته ، وقالت :

- " هذا لن يكون ، لانك لن تطا " كارنوك" بقدمك بعد الليلة "

ورات الجزع في وجهه ، وبدت عيناه كبحر مقفر قصي ، وقاوم عقلها جسدها ، فهي تريد ان تخبره بان المنزل منزله ، وانها تريده بكل كيانها .. ان تقول اي شيء يخفف ما هو فيه من بؤس ، وما هي فيه من إشفاق يعتصر قلبها .

ثم ارخى جفنيه ، وعاد متباعدا وساكنا كاول يوم راته فيه . تلك الصورة التي لا تفتا تلاحق ذهنها . وقال في هدوء :

- " ربما كنت على حق . قد يكون من الأيسر لكلينا ان ارحل . سوف اخذ حاجاتي ، هل تظنين انه يمكنك التصرف مع النافذةالمكسورة ؟

- سوف ارسل في الغد من يضع الواحا عليها . "

ولم تنتبه إلى تعليقه حول النافذة ، إذ كان عقلها مشغولا بالتصالح مع خروجه كلية من حياتها . وبعد لحظة ، نظرت إليه مذعورة :

-" لا يمكن ان تترك المنزل هكذا مفتوحا للرياح ، وماذا عن اللصوص؟

ومديده في غيظ إلى شعره ، واخذ يتخلله باصابعه ، وبدات الخصلات تنزل على جبهته ، وشعرت ان روحها ترفرف داخلها .

- " لن يكون هناك رياح ولا امطار ، وستكونين في منتهي الأمان . "

قالت وهي تضم يديها في عصبية ، وتوشك ان تبكي :

- " وماذا لو عاد صبيان الصمغ ؟ "

وراح يمسحها بعينين باردتين ، ثم قال :

حسنا ، سوف اغلقه بلوح الآن ، وارسل من يعيد الزجاج إليه في الغد . وسوف اتدبر امرإصلاح الأبواب ، ويمكنك استخدام النافذة لو اردت الخروج . وإذا ما صادفتك مشكلة ، فرقم تليفوني - هو " ٥٤٣ "

قالت وهي لا تتجرأ ان تقترب منه حتى لا تتخاذل امامه ، ولو فعلت فسوف يزدريها مرة اخرى :

- " شكرا لك ، وداعا . "

وخيم الصمت بينهما وهو يتفحصها بعينين مسبلتي الجفنين ، وكانت واعية لتنفسها المضطرب والالم العميق الذي يحز في قلبها ، مقلصا امعاءها.

وصرخت وهي تشيح له بيدها ، وكانما تريد ان تزيح المغناطيس الذي يجذبها إليه بعنف :

- " هلا انصرفت ! "

وضحك ضحكة خفيفة ، ثم صدع للأمر .

واخذت تذرع الغرفة جيئة وذهابا ، كنمر محبوس في قفص ، تتقاذفها المشاعر و الإحساس باليأس ، تدق بقدمها على الأرض في عنف ، تحاول إخراج " إيثان تريمين " من عقلها ، وجسدها الثائر بالرغبة ، مع كل دقة عنيفة من قدمها .

ولكن اذنيها كانتا مع كل صوت يصدر منه ، وهو يثبت الالواح ، ثم يسير عبر الشرفة إلى سيارته .

وطوحت برأسها إلى الوراء وانت في حنق . إن هذا الرجل يدمرها تدميرا . وكانت تقاوم الرغبة في الجري إلى النافذة لترقبه وهو يسير مبتعدا . ثم اطلقت ولولة يائسة ، وهرعت إلى الصالة ، واختبات وراء ستارة تغطي النافذة العريضة بجوار الباب الأمامي :

كان جسده مشدودا من الانفعالات ، وكانت حريصة الا يضبطها تتلصص عليه .

وتوقف بجوار السيارة ، معطيا ظهره العريض لها ، معطيا إياها

الفرصة لتتامله في اشتياق للمرة الاخيرة إعجابا بكتفيه العريضتين ، وخصره الرياضي ، وبدا يلتفت ببطء ، واضح انه لم يكن يريد ان ينظر إلى منزله الحبيب ، ولكنه غير قادر على ان يبتعد عنه دون ان يلقي عليه نظرة وداع تظل محفورة في ذاكرته .

وفكرت في تعاسة ان موقفه هذا مشابه لموقفها ، وهي تتطلع إليها بعينين ملؤهما الرغبة . هي ايضا تلقي نظرة اخيرة لمن تحب .. وعبست . كلا إنها لا تحبه ليس الأمر سيان على الإطلاق . وبدا قلبها يدق بعنف وهو يرفع راسه ، مرخيا لعينيه العنان لتمسح واجهة المنزل ، واوشكت ان تنتحب لرؤية وجهه .

لم يحدث في حياتها قط ان رات إنسانا يلوح عليه القنوط ، والتعلق بهذا الشكل .

لقد اطلق لمشاعره العنان لاول مرة متصورا ان احدا لا يراه - لا يخفى منه شيء . لقد كانت ترى فيه من قبل عينين تطلقان الشرر ، وشفتين تنفثان الحمم.

وانفطر قلبها حزنا لمراى رجل بتلك القوة و الكبرياء ، يقف بائسا متخاذلا ، كسير النظرات .

وانسحبت وهي تنتفض ، لا تريد ان ترى المزيد ، عالمة انه يجب ان تعيد النظر في قرارها بحرمانه من المنزل . ربما كانت مخطئة . وتعلقت متخاذلة بالستائر السميكة . ربما كان عليها ان ترضخ لقوة الأجيال غير المنظورة ، وتعيد "كارنوك" إلى واحد من نسل " تريمين " . ربما كانت السيدة العجوز على حق حين حرمت ابنها في وصيتها ، ولكن ، ماذا عن المدى الطويل ؟

ماذا عن الأجيال التالية ؟

وخطر ببالها فجاة انها لا تريد غريبا في المنزل . فلو عادت إلى لندن، وسلمت الأمر لسمسار عقارات ، فمن اين لها ان المشتري الجديد سوف يهتم بالمكان كما يجب ، يحترم الالتزامات التي يتطلبها ، وينفق الأعوام التالية في إعادة التشجير والزرع . وقطبت جبينها . اي إنسان قد يشتري المكان ، ليكون بين يدين مجرد تين من الشعور لشخص جاهل يدمره . ولن تسمح هي بذلك . ورفعت راسها وابتسمت في اسى

بعد دقائق من الإقامة في المكان ، اعتبرت نفسها فتاة ريفية ، ينبض قلبها وروحها بحب " كارنوك" ! كما انه ... ليست لندن مجرد مدينة تبتعد مئات الكيلومترات . إنها حياة جد مختلفة . واقل إمتاعا وراجعت نفسها في قلق . ما هذا الذي تقول ؟ إن لديها اعمالا يجب ان تتابعها .الافتتاح في بريستول .. وانت من داخلها لشعورها بالوقوع في شرك . إنها لا تريد العودة . لا تريد ان تعود إلى مكتب تقبع خلفه ، ولا للاستيقاظ على اصوات السيارات الفارهة ، ولالاصوات الكؤوس تقرع في الامسيات .

لا تريد ان تقضي بقية عمرها في صراع في اثناء ساعات الذروة بين العجلات والصفقات .

تشق طريقها بين البريد ، وإصدار التعليمات ، ووضع التخطيطات ، والمداهنة والنفاق .

واتسعت عيناها لهذا الاكتشاف الذي دوى في عقلها دوي الرعد . إنها تريد ان تعيش هنا ، في " كارنوك " . ان تبتسم لطائر الذعر الأرقط وهو يمرح في المرجة .

ذلك الطائر المتناهي في الصغر ، الذي ينتفض ذيله بلا انقطاع كانه مذعور لا تهدأ لجسده الصغير حركة . ان تراقب الشمس في غروبها وراء التلال ، مرسلة اشعتها على المروج ، ان تراقب الفواكه وهي تنضج على الأشجار ، وتسير تحتها حافية القدمين فوق العشب الأخضر . وتملك روحها حنين دافق ملأ جسدها باكمله لـ "كارنوك" !

ادركت هذا بصدمة هزت كيانها - إنها تريد "إيثان" ايضا . إن المطلبين يسيران جنبا إلى جنب ، لايفترقان ، يملآن عقلها وروحها ، مكتسحين ماعداهما .

إنها تريدهما معا ، لتكتمل سعادتها وهناءتها . اواه ، يالهذا الجحيم . ان ترى فردوسك ماثلا امامك ، ولاتستطيع الدخول فيه ! هاهي ذي تحس بمشاعر "إيثان" حين يطرد من مكان احبه .

إن الموقف ينبئ عن ان احلامها غير قابلة للتحقيق ، فليس امامها سوى أحد حلين ، لايروق ايهما لها . إما ان تحتفظ بـ"كارنوك" - وتتعرض بالتالي لعداوة "إيثان" ، وإما ان تتنازل عنها ، فتفقدهما معا

فياله من اختيار !! أمن الأفضل ان تحتفظ باحدهما ام تفقدهما معا ؟ وملا الوجوم قلبها ، وخيم الحزن على المنزل ، فاحتواها فيه . ورغم ماعليها من ملابس شعرت بالبرد ، فاوقدت نارا . وكان الظلام كالحا في الخارج ، وكسا وجه القمر سحاب كثيف ينساب متحركا بفعل الرياح . ونعقت البوم ، وتردد صراخ ثعلب عال وواضح ، وابتسمت ابتسامة واهنة ، مسرورة بالأصوات التي صارت مالوفة لها . لم يعد الليل يخيفها وقد اصبحت تعرف الكثير عن مخلوقاته ، وعاداتها .

واخذ الفراش يصطدم بالنافذة ، فاغلقتها حتى لا يقتل نفسه اصطداما بالزجاج المضيء ، ثم رن جرس التليفون .

تصورت انه " إيثان " رغم مجافاة ذلك المنطق - فهرعت إلى الجهاز وقلبها يدق في عنف وقالت محاولة ان تبدو عادية :

- " هالو ؟ "

وتردد صوت ضحكة كريهة ، ثم صوت إنسان يلهث . وشعرت بالبرودة تسري في أوصالها .

واخبرت نفسها ان احدا قد طلب رقمها عشوائيا ، ودق الجرس بعد ذلك ، وقررت وهي تضم يديها في عصبية الاترد .

وفي المرة الثالثة ، رفعت السماعة بخفة ، مؤملة ان يكون جو ، او احد غيره يريد ان يتصل بها . ولكن اللهث عاد مرة اخرى .

وصاحت في ذعر :

- من هذا " ولم تتلق ردا فصرخت : - " ليس بالشيء المضحك " واغلقت الخط بعنف .

وعاود الجهاز الرنين ، وارادت ان تفصله ، ولكنها رات رايا اخر . فاحضرت جهاز الراديو ، واختارت محطة موسيقى حديثة ، وجعلت الصوت في اقصي درجاته ، ثم رفعت السماعة ، واستمعت للهث ، ثم وضعت الميكروفون على سماعة الجهاز ، متلذذة بالصوت العالي .

وهكذا لم تكن لتشغل بالها بهذا الأمر . وطافت تتاكد من الأبواب والنوافذ تمهيدا للذهاب إلى الفراش ثم تدثرت بالأغطية ، ومدت يدها إلى المصباح المجاور للسرير فاطفاته .

ثم تكورت محاولة ان تغلق عقلها لتصيب شيئا من النوم .

وحين رن جرس الباب ، اطلقت زفرة طويلة ، ونزلت عن السرير . ولم تر سيارة " إيثان " في الخارج ، او سيارة احد آخر . ولكن يجب ان يكون هو ، فهي لا تعرف احدا من المنطقة . واقنعت عقلها بذلك وهي تحكم حزام روبها .

ربما يريد ان يقبض عليها وهي لا تزال تحت تاثير النوم ، ويقنعها بان تتخلى عن مثلها . ياله من مثابر . وضغطت على شفتها وقد سرت الحمية في عروقها . لقد تجشمت قوة إرادتها اعباء إضافية في الفترة الأخيرة ! إن عليها إذن الا ترد ، ولكن فضولها كان اقوى من اي شيء ! وصاحت والرنين يواصل إصراره :

- " حسنا ، إني قادمة "

هبطت مسرعة ، ثم توقفت لرنين جرس آخر . اللعنة ! لقد مل من جرس الباب فاتجه إلى باب المطبخ . واسرعت متوقعة ان ترى جسده من خلال زجاج الباب ، ولكن لم يكن هناك احد بالمرة .

سمعت طرقا عنيفا على لوح النافذة المكسورة ، كلا ، على نافذة غرفة الطعام ...

والآن . غرفة المكتب .

وشعرت بشعر راسها يكاد يقف من الخوف . واخذت تدعك مؤخر عنقها لتدفيء برودتها وهي تحاول متابعة " إيثان " حول النافذة ، وهو يدق اربع دقات مفزعة على كل نافذة ، ثم يتوقف عند الباب الخارجي ليرن الجرس . ويستانف دورانه حول الطابق السفلي .

وتجمدت " روكسي " لسماعها القهقهة المفزعة . ربما ليس هذا إيثان!

بل إن هذا لا يتفق مع كرامته ، ان يدور هكذا حول البيت يقرع النوافذ والأبواب ويدق الأجراس . وتفصد العرق باردا من جبينها . ورفعت فجاة يدين مرتعشتين عاجزتين لتضمهما على صدرها الذي يدوي قلبها بين ضلوعه ، وكانه يتابع الطرق في نبضه تك - تك - تك - تك ... فترة صمت . واصبحت لفرط انتظام الدقات قادرة على ان تتوقع اين ستكون الطرقة التالية . وشهقت في ذعر ، تتمني لو تطيعها ساقاها المشلولتان . لقد اقترب من المطبخ ، وحين بدا يرن

الجرس راته ، وراها في ملابس نومها القصيرة .

ووقفت متجمدة في مكانها ، كما كانت في اثناء كوابيس الطفولة ، حين كانت الساحرة الشريرة تقترب منها وهي لا تقوى على الفرار . ولكنها كانت تستيقظ من تلك الكوابيس وينصرف كل شيء عدا ما يعلق بذاكرتها من رعب . ولكن هذا حقيقي ، لن يتلوه استيقاظ، وهي عاجزة عن الحركة .

واخيرا بدات ساقاها الثقيلتان تطيعانها ، واخذت تتراجع إلى الخلف ، وعيناها المذعورتان مثبتتان على زجاج باب المطبخ . وسمعت الطرق عند باب حجرة الغسيل ، وسيكون باب المطبخ هو التالي ، وارتفعت يدها إلى فمها ، واطبقت اصابعها على شفتيها الباردتين وظهر ظل داكن على الزجاج ، وصرخت ، دون صوت .

ولكنها صرخة حررت جسدها من خدره ، فانطلقت إلى السلم وهي لاتكاد تتحكم في انتفاض بدنها ، تنتحب وتلهث في شهقات قوية تخنق تنفسها . وصفقت باب غرفة نومها ، واخذت توصده . وغطت اذنيها بيديها في تهيج شديد ، حتى لا تسمع الطرقات البشعة المفزعة، ورن جرس الباب الأمامي عاليا ، وقفزت هي خارجة من جلدها .

" إيثان " ! عليها ان تطلبه ، واخذت اصابعها تتحسس القرص اللعنة ! إنها لا تتذكر رقمه ! وبذلت جهدا خارقا لتركز تفكيرها . ٥٤٣.. بالتاكيد .

وحاولت ان تطلب الرقم وهي تكاد تبكي ارتياحا ، ولكن اصابعها كانت ترتعش من الخوف فامسكت بقلم رصاص ، واخذت تضغط عليه وهي تطلب الرقم ، واخذت تنصت في توتر إلى جرس الطلب ، متمنية أن يرد عليها سريعا وفي اثناء انتظارها ، ادركت فجاة ان المكالمات التليفونية الغامضة يمكن ان تكون ذات صلة بكل ما حدث لها : الجرار، والأبقار ، والصمغ .. وحيث إنه لا احد يرد عليها ، فلا بد ان إيثان " هو من يدبر كل ذلك ، ليخرجها من المكان لقد هددها من قبل ، مقسما ان يقتلها من اجل حيازة " كارنوك " . وسقطت يدها بجوارها ، فاقدة الحياة .

واتسعت عيناها ، ثم طفر قلبها من الفرح . إنه ليس في الخارج

إنه في المنزل ، لقد توقفت الأصوات ، ولكن من الواضح انه لم يكن من يفعلها .

وقالت بصوت متهدج :

- " إيثان ! " وجاء صوته الناعس :

- " من يتكلم "

كان قلبها يدق بعنف ، ولكن الرعب قد زال ، وقالت بصوت رفيع :

- " انا ... انا روكسي "

وزام قائلا :

- " ماذا ؟ إنها الثانية صباحاً "

قالت في صوت خفيض :

- " إنني خائفة "

- " وتطلبينني لتقولي لي ذلك ؟ "

قالت متوسلة :

- " إن احدا يريد ان ، يقتحم المنزل ، ويقرع الأبواب والاجراس ...

- " شخص يريد ان يلقي بتحية المساء ، كعادة اهل المنطقة ، غريب الأطوار "

- "إيثان " ، إن الأمر جد . إنه يقرع الأبواب و النوافذ من فترة طويلة، وقد اغلقت باب غرفة النوم ، متجمدة من الرعب . "

وسمعت السماعة تضرب على الجهاز بعنف ، وفغرت فاها في خيبة امل .

وقالت وهي تحملق في الجهاز ثائرة :

- " إيها الخنزير . إنك فار قذر ...إنك .... "

وعاد جرس الباب يدق من جديد . وجن جنونها لان تترك في هذا الموقف الحرج ، دون نصيحة او عزاء فصممت ان تواجه الموقف بنفسها . فخرجت في الظلام ، تسير على اطراف اصابعها إلى فسحة السلم ، تختلس النظر خلال ستارة سميكة إلى الشرفة الخارجية اسفلها وفي نفس اللحظة شاهدت شبحا يدور حول المنزل ، وسرعان ما بدا الطرق على الأبواب والنوافذ يتجدد مرة اخرى .

إن بامكانها ان تطلب الشرطة . ولكن سيتطلب ذلك من خمس عشرة

دقيقة إلى ثلث الساعة حتى يصل رجالها ، فاستبعدت الفكرة ، فلربما تكون قد اغتصبت او قتلت في تلك الأثناء . آه لو تذكرت ان تعيد ملء جهاز الإنذار ، لقد كان ذا فاعلية من قبل . واخذ عقلها يقدر الموقف بسرعة . إن الطارق الشبح لم يقتحم المنزل حتى الآن ، ولو اراد لفعل فهو إذن يريد إفزاعها ، لا إلحاق الأذى بها .

كل ما هو مطلوب منها هو ان تبدي عدم خوفها ، وإصرارها على الدفاع عن ممتلكاتها . وتذكرت فجاة إناء خزفيا في إحدى الغرف . ولمعت عيناها ترقبا للمعركة ، وهي تسير مسرعة في الطرقة ، وبدا دهرا وهي تملأ الإناء بالماء ثم تحمله إلى النافذة المشرفة على الباب الخارجي .

سوف يدور الرجل دورته الآن ، وفتحت النافذة بحرص ، وباقل قدر من الضوضاء . وبعد دقائق ، شاهدت الرجل قادما إلى الباب الامامي ودق قلبها بعنف ، وتوقف هو تحت النافذة مباشرة . واستمدت من خوفها قوة ، وانحنت ، وافرغت الإناء الثقيل ، وافرغت محتوياته فوق راس الرجل ، واغلقت النافذة واوصدت المزلاج مرتاحة النفس . يمكنها الآن ان تطلب الشرطة .

سمعت الرجل يصيح ، وابتسمت لنفسها ببرود . ولحظة ان رفعت سماعة التليفون ، توقفت على الفور ، لقد كان يهتف باسمها .

- " روكسي " ، ادخليني عليك اللعنة ! روكسي ! "

إيثان " ! وتخاذلت لحظة لفرط ارتياحها ، ثم اندفعت تهبط السلم درجتين درجتين وكان يصيح :- " ايتها الغبية " وترددت مقطبة :

- " إنني اتجمد ، ادخليني فورا" واخذت تحاول ان تفهم ما حدث وقد اختلط عقلها ، ثم ما لبثت الحقيقة ان وضحت لها ، لقد اغرقت إيثان تريمين " بالماء ! واخذت تستمع إلى سبابه مذعورة ، ثم تحركت بحرص ، وفتحت الباب.

واندفع مزمجرا :

- " في الوقت المناسب "

وقالت منتحبة : إيثان ، لقد ظننتك الطارق الشبح . "

كان ينزع قميصه المشبع بالماء وهو يتساقط منه على سجادة

الصالة ، وقد اخذ يوجه إليها نظرات تنذر بالشر .

قالت وهو ينتفض من البرد :

- " لهفي عليك ! تعال إلى المطبخ ، فهو اكثر دفئا "

وسارت امامه ، تلتقط اذناها صوت حذائه وهو ينز الماء خلفها، وزمجر " إيثان" . وتناول المنشفة من يدها دون كلمة ، وراح يجفف راسه ، وشعرت كتلميذة تنتظر التقريع .

وغمغت قائلة :

- " ساضع القدر واصنع لك شايا ساخنا "

ولمع صدره العاري المبلل في الضوء . وراحت عيناها تختلسان النظر إلى عضلات صدره وذراعيه المفتولتين ، وهو يعمل المنشفة في ظهره ، ثم اكتشفت فجاة انه يعبس إليها في غضب شديد .

- " لقد كانت حادثة غير مقصودة ، لم اتمالك نفسي ، وقد ظننتك الرجل الذي يزعجني . لقد اغلقت الخط بعنف دون كلمة ، وظننت انك قد عدت إلى النوم . " ثم تجمدت نظراتها :

- " إنني لم اسمع سيارتك قادمة "

- " لقد تركتها عند الجرن ، حتى امسك بالمجرم متلبسا ، هذا إن كنت تقولين الصدق . قالت بعناد :

- " وانى لي ان اعرف ذلك ؟ . إنك لم تصح او تنادي ، ولم اكن اتوقع مقدمك. فماذا كنت تتوقع ؟ فرقة نحاسية والعابا نارية ترحيبا بك ؟ "

قال من بين اسنانه :

- " كنت اتوقع امراة مرعوبة خائرة القوى ، وليس دفاعا دقيقا محكما من شلال مياه مثلجة "

- " لقد فكرت ان اجعله مغليا ، كدفاع القلاع قديما ، فاشكر حظك "

- " حظي ! واصطكت اسنانه " إذن فعلي ان اكون لك شاكرا ان قررت تجميدا اوصالي وإغراقي بالماء ، بدلا من قتلي سلقا بالماء المغلي " .

وتوردت وجنتاها لانتباهها لساقيها العاريتين ، وقد توقف " إيثان" عن التجفيف ، واخذ يقيس طولهما . ثم قال بصوت عميق :

- " روكسي ! " .

الفصل الثامن

لاح الذعر في عينيها الزرقاوين وهو يلتهم جسدها بعينيه ، وبحثت في عقلها مرتبكة عن شيء تقوله .

- " سرعان ما ستكون دافئا ، ساحضر لك بعض الاغطية ، وبعدها يمكننا النوم . اقصد ، تذهب إلى منزلك للنوم ، واذهب انا ... "

وابتسم لها ابتسامة واهنة ، تدل على الفهم ، وتمتم :

- " روكسي ، الم تنسي شيئا ؟

قطبت جبينها ، وخللت شعرها باصابعها :

- " انا نسيت شيئا ؟ "

وسالها برقة :

- " المقتحم ؟ "

- " آه ، فعلا ، ذلك الشيء ، لا بد وانه انصرف "

- " كذا ؟ "

جف حلقها وهي تحملق إليه ، واسرع نبضها ، قالت وصوتها يكاد ينحبس

- " كذا ؟ "

إنه يريدها ، و لم تكن تدري ما تفعل . عليها ان ترسله إلى منزله بخفي حنين ، وقد ملأت اذنيه كلمات جارحة .ولكن جسدها كان يقاوم هذه الفكرة ، صارخا بها ان تستسلم . وكان لجسدها الصوت الأعلى في تلك اللحظة .

وسالها بصوت ناعم :

- " هل كان هناك احد حقا ؟ إنني لم ار احداً .

- " بالتاكيد ! لقد سمعت تنفسا عميقا في التليفون ايضاً .

- " تنفسا عميقا ؟ "

ولم يبد عليه اي اثر من تعاطف ، او اقتناع ، وتوردت وجنتاها. وردت بعناد نعم ، ضحكات مفزعة ، ولهث عنيف . إنني لم اختلق كل هذا ، ولماذا افعل ؟"

- " لكي تحضريني إلى هنا " واخذ يرقب رد فعلها .

- " ماذا ؟ " وابتلعت ريقها : - " ولماذا اريدك هنا ؟ " وكانت تدرك مقصده ، ولكنها تتمنى ان تكون مخطئة .

- " إما لتغرقيني ، او لتغريني ، وانا اذهب إلى الاحتمال الثاني . "

وشهقت :

- " ايها الصلف المغرور ! افرغ من مشروبك " واختطفت المنشفة من يده: - " إذهب إلى بيتك . وإذا ما وجدتني قتيلة في الصباح ، فلا تلومن إلا نفسك " وكانت تنتفض . فلو غادر " إيثان " المنزل ، فسوف تصبح وحيدة مرة اخرى ، مع احتمال ان يعود ذلك الشخص . ولم تقو ساقاها على حملها ، فارتمت جالسة على احد المقاعد .

- " إنك مرعوبة ، اليس كذلك "

وردت في اضطراب :

- " بلى، متجمدة من الرعب "

وقال في استهزاء :

- " لانك قضيت الليل بمفردك ، دون انيس ؟ "

واندفعت تبكي ياسا وغضبا :

- " لقد كنت مجنونة ، ان طلبت عونك . لقد كان هناك شخص ما ،

ولقد رايته . لا تقل لي إن المنزل مسكون ، فانا لا اومن بالاشباح . لا اخاف إلا من المزعجين الذين يتمتعون بالتنفس في التليفونات ، ويحاولون تحطيم الأبواب والنوافذ . إنني اعرف على الاقل ان له اذنا صماء "

وتنهد :

- " سوف اعتذر عن ذلك ، ولكن ، لماذا له اذن صماء ؟ "

- " لانني حين سلطت المذياع باعلى صوته ، على اذنه ، لم يبد رد فعل كبير . وسمح لنفسه بالابتسام "

لقد اقتنعت الآن . حسنا . وإن بدا هذا غير مالوف .

فانا نادرا ما اغلق باب منزلي "

- " ولكنك لست فتاة شقراء نحيلة الجسم . "

- " هل لاحظت ذلك ؟ ياله من تقدم . وهل ستقذفيني إلى الخارج وقد انصرف المقتحم ؟ "

وكان هذا امرا مربكا لها ، فهو سيسئ تفسير اي طلب منها للبقاء . ومع ذلك فهي لا يمكنها ان تظل بمفردها مع الرعب الذي يتملكها . ولاحت لها فكرة .

- " اريدك ان تبقى عشر دقائق ، إلى ان اجمع حاجاتي ، واذهب إلى احد الفنادق "

- " لا تكوني غبية . لن تفعلي شيئا من هذا القبيل في هذا الوقت من الليل من الأفضل ان تاتي معي "

قالت متصلبة :

- " كلا ، شكرا ، لا اريدك ان تفترض .. "

وقال محتدا :

- " افعلي ما اقول . وبسرعة . يجب ان تحصلي على قسط من النوم قبل عناء باكر ، وانا اريد ملابس جافة ، قبل ان تسكن الضفادع ملابسي .. "

وضم ذراعيه امام صدره في عناد ، ورات انه مصمم على رايه :

- " إذا كنت متاكدا .. "

قال في هدوء :

- " روكسي " ، ليس هناك سوى بديل واحد ، هو أن أخلع بنطلوني هنا ، ليجف في هواء الدولاب ، فهل تعرفين معنى ذلك ؟ "

ردت في جد :

- " ستبرد ساقاك . "

وعلت الابتسامة وجهه ، وجاوبته بمثلها ، ثم قال :

- " اذهبي وبدلي ملابسك قبل أن أبين لك ما سيحدث حقيقة ، اللهم إلا إذا كنت تستثيرينني لذلك . " فتراجعت إلى الباب قائلة :

- " كلا . انتظر هنا ، وساعود في دقائق . "

- " وإذا لم تعودي ، فسأفترض أنك تريدين مني أن أحضر لإخراجك وانطلقت تتلاحق أنفاسها من العجلة ، وبدلت ثيابها سريعا ، والقت ببعض الملابس في حقيبة صغيرة .

وحين عادت ، بادرها بالقول :

- " لقد تفحصت المكان من النافذة ، ووجدت آثار شخص سار في أحواض الأزهار . "

وضعت يدها على قلبها الذي أخذ يخفق بشدة ، وسألته بعينين مملوءتين بالخوف :

- لماذا ؟ لماذا يتصرف إنسان بهذه الطريقة الشاذة ؟

- " هيا ، أريد أن أعود ولا أتصور حدوث شيء مرة أخرى . إنه مزاح ثقيل من شخص ما . "

وسبقها إلى الخارج ، وامسك لها باب السيارة مفتوحا ، وأخذت هي تتململ في جلستها ، تحاول فهم تعبيرات وجهه المبهمة . قد كانت لا تحبذ مغادرة المنزل ، ولكنها لم تكن تدري ماذا ستفعل في الليلة القادمة ، أدركت أنها لا تريد أن تظل وحيدة .

إنه أمر فظيع أن تكون معتمدة هكذا على " إيثان " . ربما كان من الأفضل لو اتصلت بالشرطة .

أفزعها أزيز ، إلى أن تناول " إيثان " السماعة ، وكسا البرود وجهها وهو يستمع إلى صوت امرأة حاد وغاضب . إنه يمكن أن يكون الطارق الشبح ، طالما يملك تليفونا في السيارة . أيمكن أن يكون قد حاول إفزاعها ، ولذا فقد تلقى الماء على رأسه .. لأنه كان الشخص الوحيد

خارج المنزل .

وشدت ذراعه قائلة :

- " أريد العودة إلى المنزل "

وعبس :

- " إنني لست تحت أمرك .. كلا يا " أنابيل " ليس هذا لك ، إنني أتحدث مع " روكسي " .

ووضع السماعة بعنف ، وبدا يسير ، وكانت تعبيرات وجهه مفزعة لدرجة أنها لم تنطق بكلمة مرة أخرى . ولكن القلق كان يساورها ، تريد أن تعرف إن كان مذنبا أم لا ، فالأمر في غاية الأهمية لها . فلا يتأتى لجسدها الخائن برغبته الجامحة أن يستجيب لرجل حاول أن يقتلها خوفا من أجل مكسبه .

ولم يكن منزله بعيدا . ورغم قربه هذا ، فقد كان أبعد ما يكون جوا عن جو منزل " كارنوك " ، وفهمت " روكسي " سر تمسكه بمنزله الأول .

كان منزلا ضخما حديثا ، بني وكان والد " إيثان " لم يكن يريد سوى سقف يظلله دون أي اعتبار آخر . وكان الشيء الذي شد انتباهها أكثر من غيره ، هو نظافة المكان وحسن ترتيبه ، كما لو كان غير مأهول بالمرة

وتوقعت "روكسي" نصف توقع أن تجد " أنابيل " في انتظارهما ، ولكن المنزل كان غارقا في الظلام عدا بعض الأنوار في الطابق العلوي وقادها "إيثان " إلى صالة مربعة ، وأغرقها الضوء المبهر ، وأخذت لمحة عن الغرف المفتوحة عليها . وأخذ " إيثان " يخلع حذاءه وجوربه ،

كان واضحا أنه لا يريد أن يفسد السجادة الثمينة . وحاولت هي أن تأخذ فكرة عن ذوق "إيثان " وأخته ، وخاب رجاؤها إذ صعب عليها أن تخرج بنتيجة محددة ، عدا النظافة المفرطة ، وتناسق الألوان . وكان المكان يعطي انطباعا عن أنه نادرا ما يزور أحد المنزل ، ناهيك عن وجود جرائد ملقاة على الأرض أو أكياس طعام على الأرائك ورغم قدم منزل " كارنوك " بالنسبة لهذا المنزل ، فقد أحبت فيه دفء الحياة ، عن هذا المنزل البارد الخالي من أية لمسة إنسانية .

وأمرها باقتضاب

- " هيا إلى أعلى ، فلم افتح هذا المنزل للفرجة .

وتبعته وعيناها على ظهره المتصلب ، لقد قال هذا المنزل " ولم يقل بيتي " . وشعرت نحوه بالأسى .

وقال دون أن يعنيه خفض صوته :

- " حيث لا مكان لغرفة خدم لدي ، فلك أن تستخدمي غرفة الضيوف"

وسالته وهو يفتح النوافذ محدثا ضوضاء :

- " الا يهمك أن تستيقظ اختك ؟ "

- " إنها في سبات عميق . وسوف امر عليها للاطمئنان بعد لحظات ، الفطور السابعة تماما ، وبعدها نتحدث معاً .

- " ولكن .. "

- " سوف نتحدث . "

وغادر الغرفة ، واخذت تستمع وقد ملأتها التعاسة لصوت الدش ، ثم باب يصفق ، ثم اصوات عالية غاضبة . يالللفظاعة . واخذت " روكسي" انطباعا ان " إيثان " ليس عطوفا على اخته . وكان الشجار عاليا ، احست معه بالحرج .

وبدا الجد على وجهها . هل هذا الشجار لأنه احضرها إلى المنزل ؟ خفتت الأضواء وحاولت هي ان تستقر ، ولكنها ظلت تتقلب بلا انقطاع . فهي تريد ان تعرف هل" إيثان " هو من اراد إفزاعها ، أم انه شخص آخر مجهول ؟ ولم تكن متاكدة . ما الذي يمكن ان يكون اسوا من هذا ؟

ثم انتفضت فجاة جالسة في الفراش ، وقد اتسعت عيناها ، إذ تذكرت انها افزعت مرة اخرى في لندن.الخنزير ! ولم تستطع ان تبقى ساكنة ، فغادرت الفراش واخذت تنزع الغرفة ، إن الاحتمال هو ان ذلك كان جزءا من خطته لتحطيمها .

وما دامت قد عرفت الآن انه وراء كل ذلك ، فلن تخشاه بعد اليوم .

وتنهدت إذ رات ان النوم قد فرمن جفنيها ، وتحركت باهدا ما يمكنها ، نازلة إلى الطابق السفلي ، مؤملة ان تجد شيئا دافئا يساعدها على النوم . ولكنها توقفت في غير تركيز ، حين وجدت " إيثان " جالسا إلى منضدة سطحها من الميلامين ، ممسكا بقدح في

يده، ينظر إليها كما لو كانت آخر إنسان على وجه الأرض يريد رؤيته .

وسالته بعناد : - " الديك شيء من الشوكولاتة الساخنة ؟ "

واشار بيده إلى الدولاب . وبدات تصنع لنفسها شيئا . وبينما هي تنتظر حتى يغلي الماء ، كانت حرارة جسدها ترتفع ارتفاعا متواصلا . كان يرتدي روبا يكشف عن ساقيه وكان جسده شديد السمرة .. شديد الرجولة ... شديد... ابتلعت ريقها . وكانت تدرك انه يراقبها . وسقطت منها ملعقة على الأرض فانحنت لتلتقطها ، ووبت لو تركتها مكانها حين سمعته يشهق ، وانتبهت إلى الجزء الذي انكشف من صدرها .

توقفت جافة الحلق ، وعيناه النهمتان تمسحان جسدها. ثم تراجعت بعنف حين مد يده ليمسك بها .

وصاح فيها :

- " الا تريدنني الآن . وهزت راسها .

- " إذن فابتعدي عن طريقي ، ولا تحومي حولي هكذا . انا رجل ، ولست احد كلابك المدللة . و خذي هذا كتحذير ، فلست غافلا عن خططك الخبيثة . "

ولما عز عليها الكلام ، رفعت راسها في استعلاء ، وكسا وجهها تعبير بارد ، وصبت مشروبها وخرجت مظهرة اقصى ما استطاعت حشده من عزة نفس .

إن " إيثان " ليس بالرجل المهذب ، ولا يتورع عن اي شيء لاستعادة منزله اللعين ، أن يزعجها ، او يرغبها ، او يحطم كبرياءها.

ورقدت في فراشها تعيسة باردة ، تتمنى الا تراه مرة اخرى . إن له تاثيرا على جسدها ، وها هو ذايستولي على مشاعرها ايضا . وخيم عليها الوجوم ، لقد اصبحت حياتها على ما يبدو تحت سيطرة " إيثان تريمين " . كل شيء يحدث لها ، وكل شيء تفعله ، يبدو وكانه يتجه إليه . ولا يمكنها الآن ان تتصور كيف ستكون حياتها بدونه .

الوحدة ، والفراغ . ولذا لم تكن راغبة في العودة إلى لندن . فـ"إيثان " لن يكون هناك . سواء كان عدوا لدودا ، او مغريا ، فهو يوقعها في حبائله ، يفتنها ، ويستغل التجانب الجسدي بينهما ليسحقها

سحقا.

زفرت زفرة مكروب . لو عادت إلى لندن ، فلن تراه مرة أخرى .. وانتابها ألم مبرح مفاجيء لفح بلظاه جسدها كله ، واتسعت عيناها لقسوته . آه لو كان لديها من تسر إليه بآلامها ! إنسان تعترف له بالحقيقة . ! انها محتاجة إلى أمها . أواه ، لكم هي محتاجة إليها .

وانفجرت منتحبة ، تهطل دموعها كما لو كانت لن تنتهي أبدا .

وأخذ نحيبها يهز جسدها كله ، حتى انها لم تحس لقوته بأحد يدخل عليها الغرفة ولم تعلم بوجود "إيثان" بجوارها إلا وهي بين ذراعيه ، يضمها ويهمس إليها بالكلمات المهدئة .

وكان هذا ماهي محتاجة إليه ، الحب ، والاهتمام العطوف . وكان هذا ما تحسه ، وأغلقت عقلها عن أي شيء آخر .

وتعلقت به ، وبعد فترة ، تمكنت من أن تتكلم من خلال شهقات نحيبها .

- " إنني ... آف .. تقد أمي ! آر ... يدها أن ... أن .. تعود . انا لم أكن أحوم حولك . ولم أرد أن أكون مزعجة لك . "

- " حسنا ، حسنا ، ولكن يجب أن تكوني حريصة في تحركاتك . فانا لست إحدى عمائك العوانس "

وولولت قائلة : - ليس ... ليس لي عمـ ..ات ، عوانس "

وتركها تواصل البكاء ، وهو يربت شعرها . ويمسح الدموع الساخنة عنها بين الحين والحين . ورأت " روكسي" فجأة ملامح العطف والرقة على وجهه وهو ينظر إليها ، فجلب هذا نوبة جديدة من البكاء . إلى أن كفت عن البكاء ، وهي مرتمية على صدره خائرة القوى .

وقالت حين استعادت جاشها ، وقد علا الخجل وجهها :

- " لم انتحب هكذا منذ كنت طفلة "

قال برقة يهمس في أذنها :

- " كل إنسان محتاج إلى أن يفرج عن مشاعره . لم أرك تفعلين هذا من أجل وفاة والدتك ".

رفعت وجهها إليه ، فوجدته يبتسم لها ، فقالت في شك :

- " إنك تكرهني "

قال باسى :

- " نعم ، ولا . "

وتراقص قلبها في جنون وهو يسدد نظراته إليها .

- " إيثان .. "

- " إذا كنت تشعرين بتحسن ، فهيا ، اصحبك إلى منزلك . فالساعة الآن السادسة .

ومد إصبعا ومسح عبرة تجمعت في ركن من عينها و كما لو كانت تلك العبرة قد نومته مغناطيسيا ، وقال:"أواه.." تذوق الملوحة التي خلفتها على بشرتها . وشهقت "روكسي" شهقة خفيفة فقال وهو يزوم:

-"أواه يا "روكسي" ، كم انا راغب فيك هكذا بحق السماء ؟ لماذا تكونين انت بالذات من يحطم كل أحلامي ؟ "

ووصلت كلماته إلى شغاف قلبها . فهو يحس بنفس مشاعرها ، واضعف من أن ينكر ما بينهما من تفاعلات . ربما تكون الوسيلة الوحيدة التي تخلصهما من سيطرة كل منهما على الآخر هو أن يرضخا للأمر الواقع ، ويتركا العنان لرغباتهما الجسدية ، إلى أن يمل كل منهما الآخر ، ويبدأ " إيثان" تحديا على مستوى جديد .

وكانت تدرك بكل مرارة أن هذا ما كانت تعنيه بالنسبة له ، الإغراء المحظور.

وقالت بهدوء :

-" إنه صلفك الذي يمنعك من أن تتحمل أن يهزمك أحد ، خاصة امرأة .

إنك تكره حقيقة انني لم أسلمك نفسي ، وتريد معاقبتي على ميراثي لـ"كارنوك" . واعلم ما انت فاعل ، سوف تجبرني على الخضوع لرغباتك، ثم تسير متباهيا بهذا تنشره على الملأ ، وتجعل مني سخرية القرية كلها ، فيتملكني الحرج كلما سرت فيها "

وعبس :

-" لماذا لا تثقين بي ؟ لماذا تضمرين لي في نفسك كل هذه الأفكار الخاطئة ؟ - " لقد قالت والدتي ...".

ورد في عنف :

إذن فقد كانت مخطئة ! آسف يا " روكسي" ، لا أريد ان اوذي مشاعرك، ولكن من الواضح انها خلقت لنا كثيرا من المشاكل . واعتقد ان الوقت قد حان لتوضيح حقيقة او حقيقتين . ولكن هناك شيء يجب ان اقوله اولا " ثم ابتعد عنها : " اريد ان اقول وانا في وعيي الكامل ، إنني ثمل بالرغبة فيك" .

وجلست متحيرة وساكنة . نهض وهو يهز راسه . واخذ يذرع الغرفة ، وقد علاه التوتر وكسا وجهها الجد . لا شك انه يحاول ان يخرجها من ذهنه .

وهمست :

- " اتظنني إنسانة رخيصة ؟ كلا . إنني لا اقبل العلاقات العرضية.. حتى في هذا الوقت وعضت شفتها ، فقد قالت اكثر مما ينبغي .

توقف ، وسالها برقة :

-"حتى في هذا الوقت ؟ ولما رفضت ان تستطرد عاد إلى الجلوس بجوارها : "روكسي" . ليس من عادتي المخاطرة بكشف عواطفي لأحد لا اعرفه جيدا ، نتيجة لتجربتي المريرة ، فثقتي في الناس ليست عالية ومهما كانت المشاعر بيننا ، فنحن لا نعرف بعضنا جيداً "

وتملكها الياس، فقد كان محقا . فعلاقتهما معا لم تتعد الرغبة الجسدية . يا للعار .

وانتظرت منه ان يواصل ، والترقب ينهش قلبها . كم هو سهل ان يقذف بها في الجحيم .

لقد ادرك جسدها الحقيقة قبلها ، ومن ثم كان على استعداد للاستسلام . ولقد اجتاح عقلها الواعي مدة اطول ليتفهم الموقف . ونظرت في عيني " إيثان " الخضراوين اللامعتين ، وودت لو تكون غير مهتمة . لم يكن يعنيها في تلك اللحظة ما يريده بها في النهاية ، وما يشعر به تجاهها. كل ما كان يعنيها انها محتاجة إليه . لقد اصبح بالنسبة لها مبرر وجودها ، ووقود حياتها . إنها تحب " إيثان " .

الفصل التاسع

قال " إيثان " بصورة مفاجئة ، وهو يحملق إلى " روكسي "

- " لن امارس الحب معك ! "

ردت عليه بخشونة :

- " كان بإمكاني ان اقول لك نفس الشيء " .

ما الذي يرمي إليه ؟ إنه يدمرها ببطء ، فهل هذا نوع من العقاب ؟ إنه راغب فيها وهي تعلم ذلك ، فهل شهوة الانتقام لديه اقوى من رغبته فيها ؟ إن " إيثان" تريمين " مصمم على تحطيم كبريائها وعزة نفسها ، مهما ضحى في سبيل ذلك من حاجات ملحة .

قال في صوت رقيق :

- " إن هذا لصالحنا معا . وحملقت إليه بعينين باردتين ، وقد أحنقها منه هذا التظاهر بالطهارة والنقاء .

واستطرد :

- " إنك لا تثقين بي ، ولكن ، انصتي . إنني اتباعد عنك حتى لا تعتقدي انني اقول ما قلته لك لمجرد الإيقاع بك " .

وردت في نبرة ضجرة :

- " حقا ؟ اعذرني إذن إن الأمر اختلط علي .. .

وقال وقد كسا الاهتمام وجهه :- " يجب أن تفكري بعقلي برهة يا روكسي " ، يجب أن تدركي انك سيطرت على تفكيري فترة من الوقت ، منذ أن دخلت محلك كالريح في هبوبها .

حتى خداعك كان مسليا لي ، حتى اردت أن اضحك . ومع ذلك كنت كارها منك ذلك التصرف "

- " لم اكن وقتها اعلم اي شيء عن الوصية ، صدقني " .

- " ليس مهما . لم يعد اي شيء متعلق بالماضي مهما . لقد رايت فيك حياة ومرحا لم اعهدهما في احد من قبل . ولقد كنت اغبطك على ذلك ، وامتلات نفسي اشتياقا إليك .

وحين عرفت من انت ، اصبت بخيبة امل عنيفة ، وحاولت ان اوطن نفسي على ان اكرهك. لقد كان حظا سيئا ان نوضع في مواجهة مع بعض . إنها عقبة كؤود اريد ان ازيحها .

سالته في تعاسة :

- " وكيف تزمع الوصول إلى ذلك ؟ " لقد بدا القصة من بدايتها لكي يوقع بها ، متلاعبا بعواطفها . إن جوعه لها ليس إلا جوع ثري متعلق بلوحة جميلة ، لا يريد ان يقتنيها غيره . واحست برجفة .

" إنه امر لامناص منه يا " روكسي " . إننا ننتمي إلى بعضنا ، ويكمل بعضنا البعض ، وانت تشعرين بذلك ، اعلم هذا . تزوجيني " .

اتزوجك؟

وقبضت على الغطاء بعنف ، تلويه في يديها . كان يبدو جادا رزينا بصورة لا تصدق ، كما لو كان هذا هو اكثر الحلول التي تفتق عنها ذهنه اتفاقا مع المنطق . لقد اقر بالتجانب الشديد بينهما ، ووازن بينه وبين فقده لـ " كارنوك " ، ثم قرر ان في إمكانه الفوز بالاثنين . ضيعته ، وإشباع رغباته .

واحست بمرارة تقلصت لها امعاؤها ، فجعلتها تشعر بالمرض يستشري في جسدها .

وغمغم :

- ولم لا . "

واغمضت عينيها عن شفتيه الكاذبتين ، متسائلة إلى متى ستدوم هذه التعاسة؟

إنها لم تتخيل حتى في احلامها ان يطلب منها " إيثان " الزواج ، ولم تكن تتصور ان يكون الرد المباشر الذي يرد على شفتيها هو الرفض .

واستطرد في صوت اجش : إنني عازم على ان احصل عليك وهذا كل ما اتمناه .

قاطعته ببرود :

- " اه ، نعم . امراة تشاركك الفراش ، لتوفر عليك مشقة البحث عن مضاجعة لك . ثم من قبيل الصدف الرائعة ، تكون هي اكبر حب في حياتك "

قال لها بهدوء :

- لم اكن اعلم انك تدركين .. "

قالت محتدة :

- " لقد جعلت هذا في منتهى الوضوح . " إن المنزل هو كل مشاعره ، تفوق رغبته فيه اية رغبة اخرى لاي امراة ! إن رغبته في " كارنوك " تتاجج في اعماقه ، ولن يتراجع عن زواجه منها طالما سيعيد إليه منزل الأجداد .

ونظر إليها متحيرا ، وهمس :

- " الا تشاركينني ذلك الحب ؟ "

نخرت بانفها ، وقد بلغ طعم التعاسة في فمها حدا منعها من الرد . إن شعورها تجاه " كارنوك " لم يكن هو القضية ، بل مشاعرهما المتبادلة .

سالته بخشونة :

والآن وبعد ان تحصل على كل المزايا ، ماذا يتبقى لي من هذا الاتفاق؟

وبدا مصدوما ، فلم يكن يتوقع منها إلا السعادة الغامرة ردا على عرضه . واعطاها ذلك نوعا من العزاء . فإذا كانت تتالم ، فليتالم هو معها .

- " لقد اعتقدت يا "روكسي" .. بكل امانة ، كنت اتصور .. "

واخذ يفتش عن اي مظهر للتخاذل فيها ، ولكنها شدت من عزيمتها على الرغم من عواطفها الجياشة ، ولم تبد له إلا امراة تكن له كل ازدراء قالت في احتقار :

- " كنت تتصور ان البي طلبك بمجرد إشارة منك . وتخيلت ان تحصل على كارنوك" مقابل عرض بالزواج . حسنا ، لن تفلح هذه الخطة . "

رد في رقة :

- " بل ستفلح . ساجعلها تفلح ، حتى ولو دون حب . إن ما بيننا هو رغبة جارفة ، وقد اسست كثير من الزيجات على ما هو اقل . "

وقالت في تعال :

- " حين اتزوج ، اريد ان يكون ذلك عن حب "

قال بحدة : " كلنا نريد ذلك ، في احلامنا . ولكن ذلك ليس متاحا دائما . إن الناس لا يحبون بعضهم طبقا لنظام محدد ، اليس كذلك ؟ "

وتمتمت ، وقد خيم الالم على عينيها :

- " لا . لقد تعلمت ذلك على الاقل "

قال يستحثها :- حاولي ، وستكون حياتنا غاية في الإمتاع انا ضامن لك ذلك.

وضمت شفتيها بقوة ، وهزت راسها قائلة :

- " كلا "

وعبس ، ثم تنهد وهو يقول في شيء من نفاد الصبر :

- إني ساهبك حبي وحمايتي ، وسوف اشاركك في إدارة الضيعة ، بخبرتي" ولم يكن هذا ليرضيها . إنها تريد حبا حقيقيا خالصا لا ان تكون مطلبا ثانيا بعد منزل .

همست وقد ابيض وجهها :

- ابدا لن اتزوجك ولو بعد مليون عام . إنني ساطرح المنزل للبيع ، وساعود إلى لندن هذا الاسبوع . اريد ان اخرجك وهذا المكان المشؤوم من عقلي باسرع ما يمكن . "

زارت الريح في الخارج ، فافزعتهما معا . ونهض " إيثان " ، وسدد

لها نظرة في جمود الصخر . إنها لا تعني شيئا له ، وإلا لما قدم هذا الاقتراح بكل هذا البرود . زواج بلا حب هو حياة ميتة بالنسبة لمثلها. عليها الا تتزحزح قيد انملة ، رغم ما تحس به من إغراء بقبول اقتراحه كافضل الحلول المتاحة ، طالما رغبت في العيش معه . ولكن ذلك سيسبب لها التعاسة على المدى البعيد وقال بهدوء :

- " هيا لاصحبك إلى منزلك "

قالت بحسم :

- " كلا . لا اريدك بالقرب مني "

ساد الصمت بينهما عدة دقائق ، انصرف بعدها .

واخذت تتعجب في وحدتها كيف يتاتى للسعادة ان تنقلب شقاء وبمثل هذه السرعة ؟

إنه لم يحبها قط . ولم تكن تهمه مقدار شعرة .

إن صورته ستختفي من ذاكرتها بعد ان يختفي من حياتها . وصوته العميق الذي لا ينفك يرن في اذنيها قد اختلط بمشاعر الكراهية .

قامت تبدل ثيابها بطريقة الية ، ثم اتخذت وجهتها إلى" كارنوك " ، تبكي دون ضابط .

وكانت العاصفة تهب وتصفع بدنها ، وبدت وكانها تزداد عنفا مع كل خطوة تخطوها .

حتى اضطرت إلى تنحني لها وهي تجاهد لتشق طريقها ، مفرغة قلبها في دموعها .

وكان الطريق يمر تحت اشجار البلوط دائمة الخضرة وارفة الظلال، وتوترت اعصابها وهي تسمع الاغصان تتقصف ، وكانها تشكو قسوة الرياح . وبدلا من ان تدورمع الطريق ، قررت ان تاخذ طريقا مختصرا عبر المرج ، لتصل إلى منزلها باسرع ما يمكن .

إنها تريد حماما ساخنا ، تزيل به " إيثان " عنها . وسوف تستدعي سيارة اجرة ، لتلحق بالطائرة في "بلايموث" . ولن تستغرق الرحلة اكثر من ساعة وتصبح حالا بعيدة عن الرجل الذي مزق حياتها ، وحاول تدميرها ، كل ذلك من اجل " كارنوك " .

وانقبض قلبها ، وصعدت غصة في حلقها بينما الريح تنفض الدموع عن وجهها اولا باول وحين لاح المنزل على البعد ، اعترتها رجفة فظيعة .

تبالك يا " إيثان تريمين " . واخذت تنوح في داخلها . لقد تزايد عذابها مع رؤية المنزل . هنا تود ان تعيش لسبب ما تجهله ، إن كارنوك هي بلسم روحها . والآن ، وبسبب " إيثان " ، حتى هذا اصبح منكرا عليها .

وبدا ذلك كقضاء إلهي عادل . إنها لم تكن مستحقة للمنزل في مبدا الأمر . وها هو ذا القدر يلقنها الدرس باشد الطرق قسوة . وشعرت فجاة بالإعياء ، غير قادرة على مواصلة الصراع في الحياة .

رفعت راسها إلى الشجرة الحمراء تتحسس لحاءها والشقوق العميقة . وكان شعرها يتطاير مع الريح ، وبدا تنفسها اكثر صعوبة . ولكنها رحبت بذلك . واخذت نوبات العاصفة تتوالى واحدة إثر الأخرى ، تنذر بان تكتسحها عبر المرج . ولكنها تعلقت بجذع الشجرة ، واجدة العزاء في قوة جذعها .

وفجاة ، دوى صوت تحطم هائل ، ورفعت بصرها في قلق فرات فرعا هائلا قد انفصل عن الشجرة . وحاولت ان تفر هاربة ، ولكن ساقيها ابتا التحرك إلا بالسرعة البطيئة ، واخذت الرياح بتوازنها . وبينما هي تجاهد للوقوف ، شعرت بالفرع يصدم مؤخر راسها العاري من اي حماية . وسرعان ما راحت في ظلام ساكن لطيف ، ازاح معه كل تعاستها .

وجاءتها اصوات مختلطة . واضواء خافتة ، ورائحة مسك غريبة . وشعرت ببرودة لم تعهدها . وحاولت فتح عينيها ، فوجدت نفسها ملقاة على الأرض ، وبجوارها اظفار انثوية مخضبة بطلاء قرمزي اللون . وحاولت في رعبها ان تجلس ، ولكنها هوت مرة اخرى ، مرحبة بعودة الظلام .

– روكسي .. روكسي .

وتلفت في إعياء ، لا تريد ان تترك حلمها الجميل . كانت قد تزوجت زواجا غاية في السعادة .. من رجل تحبه اشد الحب .. شخص ما ..

شخص ما .. وقطبت جبينها . من يكون ذلك الرجل ؟ وشحبت صورته في ذهنها ، وضاعت ملامحه .

– " كلا . لا اريد ان استيقظ "

وجاءها صوت حازم : – " يجب عليك ان تستيقظي " . ودوى الصوت بعيدا في مؤخر راسها .

وظلت تسبح في الظلام فترة طويلة ، ثم بدا الضوء المبهر يشرق في عينيها .

وفتحتهما على كره منها ، ومطت شفتيها عابسة .

كان وجه رجل يبتسم لها ، عيناه في خضرة اشجار الغابة في جمالها تلمع كالندى .

وحياها برقة : – " اهلا . "

وحملقت إليه ببلاهة . كان يرتدي قناعا ومعطفا ابيض كما لو كان في مستشفى وبدات تجيل نظرها بحرص حولها . لقد كانت في مستشفى .

قالت في رعب : – " ماذا حل بي ؟ " ثم حاولت ان تتحرك ، فصرخت من الألم .

شعرت وكان مؤخرراسها ثقيل كالرصاص ، تدوي فيه المطارق .

وقال لها ذو العينين الخضراوين في قلق : – " ظلي ساكنة "

وسالته في اضطراب : هل انت طبيب ؟ لماذا انا هنا ؟ ماذا بي ؟ "

وكان صوتها قد ارتفع لشدة قلقها ، وملئت رعبا لنظرة الطبيب اسود الشعر التي تدل على الخوف . ورفعت يدها إلى راسها فوجدته ملفوفا بالضمادات . رمشت في صمت لتذهب عن عينيها دموع إشفاقها على نفسها .. وبدا كل شيء حولها صداعا عنيفا .

وقال ببطء :

– " لا تفزعي . لقد تعرضت لحادثة . لم يتعرض شيء للكسر ، مجرد عدة غرز ، والتواء خفيف في الرقبة . لقد ضربك فرع شجرة في مؤخر راسك ، اتذكرين ؟ "

وهمست " لا ... متى ؟ "

قال الرجل ، ووجهه يفيض رقة : – " منذ يومين ، وانت عائدة إلى

المنزل"

- " المنزل ؟ "

واخذت انطباعا انه يتوقع منها ان تكون عالمة اين يوجد هذا المنزل؟ وحاولت جهدها ، ولكنها فشلت ان تستحضر اية صورة .. او اسم . اما عن نفسها . واتسعت عيناها وارتشعت شفتاها ، وتطلعت إلى الطبيب في توسل ، وهمست ثم اغمضت عينيها لفرط الإجهاد . وبدات تلف العباءة السوداء اللطيفة مرة اخرى . ومن بعيد ... سمعت صوت الطبيب متحشرجاً قائلا :

- رحماك يا رب ! وحين عادت لوعيها بعد ذلك ، كان هناك طبيب آخر ، مع صاحب العينين الخضراويين اللطيفتين . وامرها ان تسترخي ، وطمانها انها بين ايد رحيمة . ثم بدا يسالها اسئلة مرهقة.

ولم تتمكن من الإجابة عن اي منها . فلا فكرة لديها عن اليوم ، او الشهر ، او السنة التي كانت فيها ، ولا عن اسمها ، او عمرها ، او موطنها . لم تكن تعرف ووددت لفرط فزعها ان تغوص داخل عقلها لتبحث له عن الإجابات ، و تملكها الانفعال إذ وجدت نفسها عاجزة عن الإجابة عن مثل هذه الأسئلة السهلة .

وظلت عيناها معلقتين طوال الوقت بالطبيب ذي العينين الخضراوين ، والذي بدا كمالو كان قد اشتغل طوال النوبة المسائية ، وكان مجهدا بصورة لا تمكنه من الاستمرار في العمل . كان وجهه منهكا ، وعيناه غائرتين ، ونقنه غير حليق . كان يتمايل في وقفته ، ولم تدر لماذا كانت عيناه نواتا اللون النجيلي تبرقان كلما فشلت في إجابة سؤال ما .

وظلت تروح في النوم ، وهم يوقظونها ، احيانا برفعها على منضدة كشف الاشعة ، واحيانا بتكرار نفس الاسئلة . وكان الطبيب المنهك موجودا على الدوام ، منتحيا مكانا جانبيا يراقب ما يدور. وطفقت تبتسم له ابتسامة اعتذار ، كلما فشلت في إجابة سؤال ما ، على الرغم من محاولتها ان تدخل السرور على قلب ذلك الطبيب الرقيق، بالعثور على الإجابة الصحيحة . وفي النهاية قرر ان يحاول بنفسه قال

بصوت متحشرج بصورة غريبة :

- اسمح لي يا " چو " ان احاول ما ناقشناه معاً

وهز زميله راسه موافقا .

وقال :

- " والآن ، لا تفزعي ابدا لهذا النسيان ، فهو امر غير مستغرب . كثير الحدوث . إنك تذكرين الآن ياسيدتي الشابة ان الضربة على مؤخر راسك قد افقدتك الذاكرة " وهزت راسها هزة خفيفة ؛ محاذرة ان يدق راسها :

- " و فقدان الذاكرة المؤقت هو امر مالوف في مثل هذه الحالات ، وسوف تعود لك الذاكرة خلال ساعات ، وقد يستغرق الأمر بضعة ايام او اسابيع . اهم ما في الأمر ان تتركي الطبيعة تقوم بدورها " ثم ابتسم " وربما بمساعدة ممن يهتمون بك عن حب "

ووجهت له ابتسامة شاحبة ، وهمست :

- " قل لي من انا "

قال اخضر العينين :

- " روكسانا ، روكسانا بيج "

قالت والدموع تحرق جفنيها :

- " لا يبدو لي انني هي " .

وغمغم الطبيب :

- " روكسي "

وتنهدت : - " روكسي

- " يبدو ذلك افضل ، ولكن غريب .. ومن انت ؟ "

وتردد قليلا ، ثم تنحنح :

- دكتور " إيثان تريمين" . طبيب تقويم العظام . "

وعبست :

" هل اعرفك ؟ " وقالت لها عيناه شيئا لم تفهمه ، واغتمت لذلك .

وسالها بهدوء :

- " هل انا مالوف لك ؟ "

قالت بوهن :

- اشعر بالارتياح لك " ولم يكن هذا شعورها على الإطلاق .

لقد كانت مشدودة بعنف لوجوده المسيطر غير العادي . وارادت ان تعطيه شيئا من الراحة جزاء على ما بذله من جهد فوق الطاقة .

وقال بصوت اجش :

- " لقد بذلت ما فيه الكفاية اليوم . لقد كتب لك دكتور هوايت بعض الاقراص وسارسل الممرضة لتعتني بك . "

وسالته بقلق :

- " وهل ستعود ؟ " لقد كان وسيلتها الوحيدة للاتصال بالعالم . والوحيد الذي تشعر بالأمن معه .

وقال دكتور هوايت : إنه لا يتركك لحظة ... "

وقاطع دكتور " تريمين " زميله :

- سوف اعود "

وأسلمت " روكسي " نفسها لهم ليريحوها ، وهي تضم عينيها كلما حاولت التحرك في السرير .

وشعرت بتصلب رهيب في ظهرها .

وانحنى عليها دكتور " تريمين " ، وقال برقة :

- " سوف اعود واريح هذه العضلات المتالمة فيك "

وغمغمت بصوت ناعس :

- " اود ذلك "

واجتاحتها عاصفة من العواطف ، وكادت تطوقه بذراعيها . وحملقت إليه مذعورة ، وغشاوة على عينيها . ستكون قد خرجت عن طورها لو عانقت شخصا غريبا عنها كلية .

ولكن الطبيب ابتسم لها ، وضغط برقة على يدها التي كانت تقبض على الملاءة بعنف .

وقال بصوت فيه بحة .

- "استرخي ، فالنوم احسن دواء "

وجعلتها الاقراص في نوم طويل ، لا بد انه استغرق اربعا وعشرين ساعة ، لان الدكتور " تريمين " كان في نوبة مرة اخرى . يبدو عليه

الإجهاد ، كالمعتاد . قالت وهي مسرورة برؤيته بصورة مضحكة :

- " اهلا دكتور . "

قال " لماذا لا تناديني " إيثان " . إنني ساظل اهتم بعمودك الفقاري ، حتى بعد ان تعودي إلى البيت .

- " إنني اتساءل هل كان لي مقوم عظام خاص من قبل " ؟

- " ربما يعيد لك هذا ذكرى امر او امرين . "

وساعدها على ان تنقلب ، وحرر ملابس المستشفى ليكشف ظهرها . وفي الحال كانت يداه المريحتان تنثران زيتا دافئا ، وشعرت بالاسترخاء يعم جسدها .

وغمغمت :

- " هل لي ان استمتع بهذا ؟ "

وضحك :

- " بالتاكيد . سيكون هذا مشجعا "

وخيل إليها ان صوته يتردد في اعماقها . وسالها :

- " هل انت سعيدة باسمك اليوم ؟ "

همهمت : كثيرا . هل تعرف عني شيئا ؟ هل هناك من يقلق بسببي في المنزل ؟ "

ورفعت يدها إذ تذكرت شيئا ، ولكن لم يكن هناك خاتم في إصبعها .

- " لقد مربي خاطر سريع عن الزواج ، ولكني لست مخطوبة . "

وتوقفت يده ، ثم استانف عمله :

- " كلا لست مخطوبة . ولا اقارب لك . "

- " كلمني عن نفسي " .

- " لقد طلب مني ان اترك الامور تتداعى في عقلك بقدر الإمكان . ولقد فعلنا كل ما في وسعنا لتسير امورك سيرا طبيعيا . وسياتي صديق لك إلى هنا في غضون ايام ، بعد عودتك إلى المنزل ، وربما يعطي دفعة لذاكرتك ، إذا لم تكوني قد شفيت قبل ذلك . "

وهمست :

- شعور فظيع . إنني اشعر بالخواء والوحشة " ولم يعلق . فشعرت بخيبة امل . وقررت ان تفضي بكل مشاعرها ، فهي اولا واخيرا في

مستشفى ؛ ومن واجبه العناية بها . - " اشعر وكاني فقدت شيئا اهم من ذاكرتي ، وكانني لم اتمتع بحياتي السابقة ، وانه لا يهمني إذا لم اتذكر شيئا مرة اخرى ياله من خواء "

قال واصابعه تواصل عملها :

- افهم ما تعنين ، كثير من الناس يتطلعون إلي نسيان الماضي وفتح صفحة بيضاء جديدة . يكفي هذا اليوم . "

وتنهدت : - " إن صداعي احسن الآن ، لو واصلت التدليك و لربما .. ورد بحسم :

- " يكفيك هذا اليوم " واعادها إلى وضعها برقة وقوة يدعوان للدهشة وشعرت بندم غامر ان طلبت منه ان يواصل التدليك ، وهو على ما هو فيه من ضغط عمل .

ولمست ذراعه :

- " عفواً وحملقت إلى وجهه - يبدو وكانك تشعر بالراحة انت ايضاً "

ولم يرد ، ومنعتها رموشه من ان تشاهد رد فعله . وكان وجهه قريبا جدا من وجهها وهو يرتب الاقراص ، وشعرت برغبة طاغية ان تمس خده بشفتيها .

- " إيثان ! " هل هي من هتفت بهذا في صوت جد واهن ؟

وتوقفت يداه ، ورماها بنظرة من تحت جفنيه ، وشعرت بشفتيه تنفرجان وهو يبدا الكلام

وقال ببرود وهو يعتدل :

- " ساعود عصر اليوم " .

ووجدت ذلك امرا طبيعيا ، بينما هو يخطو خارج الغرفة مسرعا . إن على الأطباء ان يلتزموا منتهى الحرص مع مرضاهم . هذه هي مخاطر المهنة على ما تعتقد .

مريضة نصف عارية مستسلمة له وشاعرة له بالجميل ، وطبيب ممتلئ بالشباب ويفرض عليها الحماية .

وترددت ذاكرتها قليلا . لقد عرض عليها شخص ما الحماية . فلماذا كانت محتاجة إلى ذلك ؟ هل كانت تواجه خطراً ؟ ام تراها من ذلك

الصنف الناعم من النساء اللائي لا يستغنين عن الاعتماد على رجل ؟ إن تصرفاتها تجاه "إيثان تريمين" تتصف بالغباء إلى الآن ، فهي تكاد تلقي بنفسها عليه .

ولكنه بدا لها رائعا ، ولم تشعر ليديه بانها غريبة عنها . وارتسمت ابتسامة على شفتيها وشعرت بانه لو استمر معالجا لها ، فسرعان ما سيحنث بقسم ابو قراط ، وعليها الا تشجعه على ذلك . ربما تطلب طبيبا آخر ليعالجها .

www.rewity.com

الفصل العاشر

شعرت " روكسي " بخيبة أمل في باديء الأمر حين قيل لها إنها ستغادر المستشفى . وشرح لها دكتور " هوايت " ظروف حالة فقدها الذاكرة ، طالبا منها أن تلجا للراحة . وكان غريبا أن يكون الدكتور "تريمين "ساكنا بالقرب منها ، وعرض أن يصطحبها إلى منزلها . وقامت ممرضة بمصاحبتها للعناية بها ، ويبدو انها كانت على درجة من الثراء تمكنها من استخدام مديرة منزل ايضا .

وبدا لها ذلك غريبا ، كما لو كانت غير متعودة على خدم حولها .

وجلست بجوار " تريمين " ، والممرضة خلفهما . وكان الأمر غريبا ، وهي تسير في طرق طبيعية ربما كانت تعرفها في يوم ما كباطن يدها .

وسالها عرضا ، وهم يدخلون في حارة ضيقة :

- " هل بدالك شيئا مالوفا ؟ "

تنهدت وهي تهز راسها ، فالصداع لا يزال يؤلمها .

وسالت :

- " هل أعيش في الريف ؟ " ونظرت إلى ثيابها ، وكانت مبهرجة

الألوان ، غير مناسبة .

- " إنك تعيشين هنا " واشار الى مدخل يقتربون منه .

وقرات :

- " كارنوك " . اسم مالوف يا " إيثان " ، لقد تعرفت على الاسم " وكانت تصيح في حماس .

وربتت يده يدها برفق ثم سحب يده بسرعة :

- " كيف تشعرين تجاه ذلك الاسم ، ماذا يثير في نفسك من مشاعر اسم ذلك المنزل "

- " السعادة ... الرضا "

وعرفت السبب لحظة ان وصلوا إلى المنزل . كان منزلا لطيفا ، اخذت تدورفي ارجائه ببهجة مبهمة ، تحت رقابة من " إيثان " الصامت .

وقال لها في النهاية :

- " اعتقد انه يجب ان تذهبي إلى الفراش "

قالت متوسلة :

- " ليس بعد والتفتت نحوه ببطء ، فوجدت عينيه ، تحدجانها بنظرات نارية اهتزت لها ، وهمست : - "إيثان ... "

قال بصوت غليظ وهو يهز راسه :

- " إياك ... إنك لا تدرين ما تفعلين "

وتنهدت قائلة :

- " بل اعلم . إنني اعرفك ، فلا يمكن ان اشعر بهذه المشاعر تجاه رجل غريب . "

- " نعم ، إنك تعرفينني .

وسالته وهي تحبس انفاسها ترقبا :

- " معرفة جيدة ؟ . "

وهز راسه ببطء ، ولم يزد ، وعلمت انه لن ياخذ المباداة طالما بقيت هي مريضة.

وقالت برقة :

- " لا اريد ان تنظر إلي بصفتك المهنية "

وجفل :

- " فاهم . "

قالت :

- كلا ، إنك لا تفهم " واتجهت إليه ووضعت كفيها على صدره :

- " إيثان " ، اريد ان تساعدني علي التذكر كصديق . ابق معي . ساعدني يجب الا ترفض ، فانت الوحيد الذي يمكنه ان يجمع شتات حياتي مرة اخرى وسالها بثورة هادئة " . اواثقة ان هذا ما تريدين ؟

وردت بهدوء :

- " لو كانت حياتي تضمك فيها ، نعم " وزام قائلا :

- " اواه يا روكسي " وادركت الآن . لقد كانا متحابين . من خفقان قلبها كلما اقترب منها ، ومن ارتعاش جلدها للمسته له ، علمت انهما على علاقة وثيقة . ربما يكون قد طلب منه ان ياخذ الامر على مهل معها ، ولكنها تريد ان تعرف كل شيء .

- " إن ساقي لا تستطيعان حملي ، ساعدني على الذهاب للفراش "

- " سوف انادي الممرضة "

- " ولماذا ، إنك اقدر منها على حملي إلى السرير "

قال ورموشه تنسدل لتخفي عينيه :

- " إذا كنت تريدين هذا . " وحملها كما لو كانت لا تزن شيئا مذكورا واحست بالطمانينة بين ذراعيه القويتين ، فطوقت عنقه بذراعها وضمت نفسها له . واسندت راسها على كتفه ، وشعرت بدقات قلبه المتسارعة .

ووضعها بلطف على سرير ذي اربعة قوائم ، قال إنه سريرها ، ولكنها لم ترد ان تترك عنقه .

- " قبلني يا " إيثان " ، إنني جد ضائعة ومشتتة الذهن ، وفي امس الحاجة إلى قبلتك . "

وانحنى وقبل ثغرها برقة ، وهمس :

- " روكسي ، آه يا روكسي "

قالت :

- " انا اعلم ما نشعر به تجاه بعضنا "

ونهض على مضض ، وفك يديها عن عنقه بيديه القويتين وقال :

- لا يجدربي ان افعل ذلك " وابتسمت في خبث :

- " لقد قلت إن هذا يفيدني "

ورد عليها بابتسامة لعبت براسها . لقد كان وسيما بدرجة فائقة لا تصدق جذابا بصورة تاسر اللب . وشعرت بالنبض في راسها ، فامسكت به بسرعة .

وسالها :- " الم شديد " ؟ واقبل عليها يربت خديها ، ويدلك عنقها تدليكا خفيفا ، واصدرت انة ارتياح .

وغمغمت وهي تتمائل للنوم :

- " يا لمهارتي ، ان يكون لي مقوم عظام وحبيب في نفس الوقت . إنك حبيبي ، اليس كذلك ؟

وهمس :

- " هس . لقد حققنا من الاكتشافات ما يكفي يوما واحدا "

قالت والنوم يداعب جفنيها :

- " ابق إلى ان اتعمق في النوم . إني اشعر بسعادة لوجودك بجواري"

وحين استيقظت ، وجدته بجوارها ، حليق الذقن . وقال بهدوء :

- " إن لديك زوارا " وتابعت نظرته بعينيها ، فوجدت شابا وسيما يجلس في الناحية الاخرى من الفراش وقال لها مبتسما :

- " مرحى .يا اميرة الجمال النائم "

وابتسمت : مرحى ، هل سندخل في مسابقة العشرين سؤالا ، ام ستخبرني عن نفسك على الفور " ؟

قال برقة "

- " چو . لقد احضرت لك بعض الازهار "

واشرق وجهها :

- " رائعة ، شكرا لك . يالالوانها التي لا تصدق ! " وتعجبت من ذا الذي يضع احمر قانيا مع لون قرمزي مع برتقالي فاقع .

وقال لها في ثقة :

- " اعلم انها ستروق لك . لقد بدا بائع الازهار مذعورا بعض الشيء لهذه التشكيلة ، ولكني اخبرته ان ذوقك بالنسبة للالوان ليس

كسائر الناس .

قالت في أسى " اشعر اني في منتهى الغباء . انتما الاثنان تعرفان كل شيء عني ، وانا لا اعرف عن نفسي شيئا "

وقال " چو " مبتسما :

- " شكرا للرب . لقد نسيت إذن كل اخطائي "

- " اخطاؤك ؟ "

وقال إيثان :

- " إن چو يعمل لديك "

وسالت :

- " لدي ؟ ما عمله ؟ "

قال " چو "

- لم يكن في نيتنا ان نخبرك ، ولكن الأمر معقد بعض الشيء ، فقد تبادلت حديثا مع " إيثان " ، ورأى انه لابد ان ننهي إليك ببعض الحقائق "

واستمعت " روكسي " في دهشة وهو يقص عليها شيئا عن شركة تمتلكها ، وعن عطاء يجب اتخاذ قرار عاجل بشان قبوله .

قالت في قلق :

- " لست اشعر باني في حالة تسمح لي بمعالجة موضوع كهذا ".

وقال " إيثان " :

- " لم يطلب منك احد ذلك ، اهم شيء هو ان تتحسني صحيا . ولكن يبدو ان قرارا يجب ان يتخذ بشان العطاء . "

- " ما رايكما ؟ إنني اضع ثقتي فيكما ، ولست قادرة ان افكر في هذا "

وتبادلا وجهات النظر ، قصا عليها ما بذلته من مجهود في نشاطها التجاري، ولكنها لم تشعر بشيء تجاه كل هذا . فهو امر يتعلق بالماضي . وكان جيدا ، والمفروض ان تشعر بالرضا لرؤية محلاتها تنتشر في المدن الكبرى .

وقال " إيثان "

- " راينا هو ان تقبلي . لقد بحثنا كل الاحتمالات ، وانتهى راينا

معا لهذا معا إنه افضل شيء لك ، وللعاملين ، وللشركة خصوصا وانك كنت متحمسة لذلك " وابتسمت في أسى :

- " ما دمت قد نسيت امورا تثير حماسي كما تقول يا "چو" ، فإني لست في وضع يسمح لي بالإدارة بصورة سليمة ، ولااريد ذلك "

وسالها "چو" .

- " اتريدين ان نتولي عنك ذلك "

وهزت راسها . كل ما كانت تريده ، هو " إيثان " ، وان تظل في المنزل.

ونهض " إيثان " واقفا :

- " سوف اخبر " انابيل" بانك ستبقى هنا يا "چو" . بعد إذنك يا"روكسي" . سوف اعود بعد قليل لاقوم ببعض التدليك لك قبل انصرافي "

وتبعته بعينيها إلى ان اختفى .

وقال "چو"

- " إنك تحبينه حبا جما ، اليس كذلك ؟ "

ضحكت ضحكة خفيفة :

- هل افضح مشاعري إلى هذه الدرجة ؟ "

وهز راسه :

- " إنه مجنون بك ، واعتقد انكما ستكونان اسعد حبيبين تحت سقف واحد .

يبدو انه لا يمكنه الانتظار ليسالك الزواج ، وقد قلت له الا يتردد ، ولكنه غير واثق . "

- " بسبب فقدان ذاكرتي ؟ "

- " نعم . إنه يظن ان ذلك ليس عدلا . وإنه يجب ان تكوني متمالكة كافة مشاعرك ، إذا حدث هذا يوما ما " وانفجر ضاحكا .

وابتسمت :

- " يخيل إلي اننا كنا على وئام في اثناء العمل . إنك لن تفقد وظيفتك مع العطاء الجديد ؟ "

- كلا ، فهو توسع في النشاط . لقد كان افتتاح فرع بريستول الذي

قمت انت بتنظيمه رائعا ، واعجب مقدمو هذا العطاء بطريقتي في إدارته . حسنا ، فلاستعد لتناول العشاء مع تلك المراة التنين " انابيل " لقد كنت افضل العشاء معك ، ولكن " إيثان " قال إنه يجب تركك لتستريحي . اعتقد انه لا يثق في نفسه ان يقضي الليلة معك . "

واحمرت وجنتاها :

- " خبرني عن انابيل " . من هي ؟ "

- " اخته لقد قابلتها عندوصولي ، ولم اشعر بميل نحوها . إن لها وجها من الوجوه التي توحي بالشر ، ولا يتميز شقيقها عنها كثيرا في هذا "

وكانت السعادة التي تغمر "روكسي" اكبر من ان تجعلها تشغل بالها بتلك الأخت المنفرة .

وقالت مبتسمة :

- " اراك قبل انصرافك ، وشكرا على كل ما فعلت . "

- " تحت امرك يا " روكسي " ، لا تدعي " إيثان " يتسرب من بين اصابعك . إنه مثالي لك "

واشرقت عيناها :

- " اعلم ، وسافعل كل ما في وسعي . "

و اتكات على الوسادة سعيدة ، تنتظر " إيثان " . وجاء تها المرضة ترفع الضمادات طبقا لتعليمات دكتور " هوايت " . وشعرت روكسي " بانها اكثر انوثة بعد ان ساعدتها المرضة في ان تصلح من شانها وتبدل ملابسها . واخذت المرضة تصفف شعرها في خصلات تحيط بوجهها ، ورضيت كلتاهما بالنتيجة .

قالت المرضة :

- " سانصرف الآن . إن الدكتور يقول إن بإمكانك النهوض في الصباح وسيمر عليك وقت تناول القهوة . "

واخذت " روكسي " يد المرضة بين يديها :

- " شكرا جزيلا لك . إن مستشفى يضمك مع دكتور " هوايت " ودكتور " تريمين " لمستشفى يسعد الإنسان ان يمرض فيه " .وردت :

- شكرا . ولكن الدكتور تريمين " ليس من اطباء المستشفى إنك

محظوظة ان تجدي إنساناً مثله يحبك كلّ هذا الحب . وربما لا يحكي لك ، ولكنه لم يبرح جانبك إطلاقا ، وكنا نجبره على تناول الطعام . لقد الغى كل ارتباطاته ليكون بجانبك "

- " وماذا عن مرضاه ... "

- " اه ، إنه يدير عيادة ضخمة ، وله شهرة واسعة ، وقد درب مجموعة من مشاهير الأطباء التلاميذ له . وقد وزع عليهم مرضاه . ولكن احدا لا يملك لمسته والآن ، سانصرف ، فانت بين ايد حانية " وضحكت .

وابتسمت لها " روكسي "

- " اعلم ؟ "

وجاء " إيثان " بعد قليل ، وخيل إليها انه يتاملها بعينين والهتين ونظرت إليه ، وقالت في وداعة :

- " إنني احبك " .

وانحنى عليها بعينين تفيضان حبا وحنانا ، وطبع قبلته على خدها، وقال :

- " وانا احبك ايضاً وسرت كلمته في بدنها مسرى الدم ، دافئة تشفي كل جرح . وقالت وهي تفكر بصوت عال :

- " لقد احببتك طوال عمري "

واسندها إلى الوسادة ، وقال برقة :

- " إن معي ضيفا في انتظاري "

- " چو " إنه شخص لطيف ... لست افهم كيف تكون اعمالي في لندن، وانا مقيمة هنا . لقد ذكرت لي المرضة اننا في كورنوول "

واعتدل واقفا ، وتجهم وجهه بطريقة غريبة :

- " إنها قصة طويلة . اطول من ان تقص هذه الليلة . تصبحين على خير يا " روكسي " . سوف اراك في الصباح "

نامت ليلتها دون حاجة إلي حبوب منومة . واستيقظت منتعشة ، ورات في نفسها قوة ان تنهض من الفراش بعد الفطور الذي قدمته لها مسز " بولرون " ، مدبرة المنزل .

واكتشفت " روكسي " ان مسز " بولرون " تعمل لدي " إيثان " ،

وحاولت استخلاص قدر اكبر من المعلومات . ولكن المراة كانت اكثر نضجا من أن تستدرج للحديث عن " إيثان " ، او عن حقيقة ان " روكسي تعيش في هذا المنزل الضخم دون خدم او مساعدة .

وأخذ تصلب ظهرها وصداع راسها ينقشعان تدريجيا على مدار الأيام التالية . وهي لا تزال عاجزة عن تذكر الماضي ولكنها لم تهتم ، فالمستقبل أمامها رائع .

وفي صباح يوم مشمس من شهر مايو كانت هي و"إيثان"جالسين في الشرفة . وكانت الشجيرات التي تمثل سياجا حول الحديقة قد ازدهرت بالأزاليا والرودويندرون ، بينما تبرز انصال من نبات قفاز الثعلب ارجوانية اللون من العشب . وكان الهواء يحمل أصوات افراخ طائر غراب الزيتون وهي تصيح طلبا للغذاء .

وكان " إيثان "قد جلب لها بعضا من الفراولة التي بدات تنضج في الحديقة قائلا إن " انابيل " ترفض اكلها .

ووجدت " روكسي" انه امر غريب ان " انابيل " لم تزرها ابدا .

وحين ذكرت ذلك لـ"إيثان " على تردد منها ، قال بهدوء :

- " إن " انابيل " تنفر من الناس كما كانت امي تفعل بالضبط . "

قالت مستحثة ، وهي تغطي يده بيدها :

- " خبرني عن والدتك ".

- " إنها كانت تجد الناس لا يعيشون طبقا للمعايير الصحيحة الصارمة التي كانت تضعها ، لقد كان ذلك مرضاً فيها . وقد كانت غاية في الأنانية ، لا تهتم ابدا باحتياجات غيرها وقد اصبحت عصابية ، وتعرضت انا لشتى انواع العذاب معها .. " باكثر من طريقة على ما اعتقد " . لم يكن ذلك سهلا بالتاكيد ، صبي يعيش في الريف ، مع ام مفرطة في القواعد الصارمة .

وقال بهدوء :

- " لقد كانت حياتي شقاء . لقد حاولنا أن نتعايش معها ، واستخدم والدي شتى صور الرقة ، ولكنه ضاق ذرعا باتهاماتها ومطالبها المستحيلة في النهاية . ولذا انفصلا ، وعشت انامع والدي "

- " إنهما متوفيان الآن ؟ "

ونظر في عينيها :

- " نعم . كانت جنازة امي في يوم مطير من ايام ديسمبر الماضي . وكنت احاول لقاءها في ايامها الاخيرة ، لاقف ما تثيره حولي من شائعات . قالت دهشة :

- " اتعني انها هي التي كانت تنشرها ؟ " يا له من موقف فظيع .

- " اوه . على مدى سنوات طوال وهي تختلق القصص عن والدي وعني . وعن الفجور الذي نعيش فيه . وكان اهل القرية يتناقلون هذه القصص بالسنتهم. وقد تركتها " انابيل " منذ حوالي سبع سنوات ، فمن الصعب على فردين انانيين ان يعيشا معا . ورات امي في ذلك ضربة انتقامية موجهة مني ضدها.

- " وماذا فعلت " ؟

- " لقد زلزلت الصدمة كيانها ، فلزمت الفراش لا تغادره . ثم كانت الإشاعات باني اغريت اختي بهجرها لاقدمها لاصدقائي إمتاعا لهم . "

وامتلا قلبها بالشفقة عليه ، فبالإضافة إلى تلك الشائعات ، فقد كان شقاء له أن تضمر له امه كل هذه المشاعر السيئة ، وهي على فراش المرض .

واستطرد بمرارة :

- " واخذت حالتها تزداد سوءا وتقطعت آخر خيوط المودة بسيل من المكالمات التليفونية و الخطابات ، ممتلئة كلها بكل ما ينفر النفس فهي لم تغفر لي على الإطلاق اختياري للمعيشة مع والدي ، مدعية انني انتمي إليها هي . والآن علي ان اراقب " انابيل " ايضا . إن صديقها طبيب نفسي ، وهو يعالجها ، واستطيع ان ارى فرقا كبيرا الآن . "

وتنهدت :

- " يالها من مسكينة ، ويالك من مسكين . واربد وجهها إذ رات انه لن يفكر في الزواج طالما بقي عليه عبء اخت يرعاها .

وراي " إيثان " منها ذلك ، فقال :

- لا تشغلي بالك بانابيل " ، فانا متعود عليها ، وكتفاي قويتان لحمل المشاكل . واسلوبي معها هو ان ادعها تفعل ما تشاء داخل المنزل، واقضي اغلب وقتي خارجه . إنها لن تؤثر علينا . "

- " علينا ؟ "

قال برقة :

- " اريد ان اتزوجك باسرع ما يمكن . اريد ان اعتني بك ، واحبك بجنون ، إلى آخر رمق في حياتنا " .

- " ضمني إليك ، فانا محتاجة إليك بكل جوانحي "

واودعها احضانه التي تفيض حبا وامنا ، وان انة خافتة ، ثم قال:

- فلنتزوج الآن . لا أستطيع الانتظار اطول من ذلك " وغمغمت :

- " اواه يا " إيثان " ... ولكن .. "

ووجدت وجهه قد تجهم ، وسالها :

- " لكن ؟ "

ودب الرعب في قلبها . إنها لم تعهد فيه صلابة كمثل هذه ، وقالت في تردد:

- " إنني سعيدة هنا ، في " كارنوك" ، لا اريد مغادرتها "

وانبسطت اساريره على الفور ، وقال :

- " وهذا شعوري ايضا . إن " انابيل " يمكنها البقاء بمنزل تريمين " ، ونعيش نحن هنا ، ويمكنني ان اواصل رعايتها . وقد تتزوج من صديقها ، فهو مناسب لها جدا . "

واخذت " روكسي" انطباعا انه لا يميل إلى صديق اختها ، ولكنها لم تشغل بالها بالامر ، فلديها من السعادة ما يكفيها .

وهمس لها " إيثان " :

- اريد أن تبرئي باسرع ما يمكن ، حتى نتمكن من الزواج .

ومضت بهما اللحظات حلوة هنيئة يتطارحان الغرام ويبنيان احلام السعادة ، وتذكر " إيثان " ما كان بينهما ، فقال :

- " الم اعدك بانني لن اهدا ، حتى نشبع ما نحس به من جوع "

وصرخ عقلها بالتذكر ، فقد كانت كلماته اشبه بزناد قدح ذاكرتها .

لقد عرفت من هو . وعرفت من هي، فصرخت صرخة ياس ، ضد جسدها الذي يصر على خيانتها .

" إيثان " تريمين . عدوها . ذلك الذي يمزقها بين رغبات الجسد ، ورفض العقل ان تستمر في حبه بكل حرارة وحماس ويستمر هو في استغلالها .

الفصل الحادي عشر

ظلت " روكسي " جامدة فترة من الوقت ، مجهدة بدنيا وعقليا وعاطفيا . ثم هاجمتها نوبة اخرى من الصدمة ، والشعور بالإذلال .

وانبرت له قائلة :

- " إليك عني "

" روكسي "

قالت وعيناها تشعان غضبا "

- " لقد سمعتني ... إليك عني "

- " حبيبتي ... " قالت : لا تدعني ، بحبيبتي ، لقد تذكرتك ، وقد خدعتني . فإياك أن تلمسني . إنك تشعرني بالغثيان "

وابتعد عنها بوجه شاحب :

- " لقد بدا حبك لي واضحا ، فلا تقولي : إنني خدعتك ، ولم اكن اعتقد..." قالت باختصار :

- " لم تكن تعتقد ... بل كنت تخطط كل شيء بكل براعة . وحين رايت اني فقدت ذاكرتي ، تصورتها ميلادا جديدا لي ، واخذت تغريني كما فعلت اول مرة . لا تنكر" .

- " كلا ... إن .... "

وصرخت في وجهه فجفل :

- " كلا ! أيها الفار الكذاب ! إنك مهووس بالرغبة في استرداد أملاكك ، فإذا عز عليك ذلك ، فلا باس من أن تاخذني معها . لقد حشوت راسي بالأكاذيب عن والدتك ، كما فعلت مع والدتي ... كيف تتجرا وتلطخ ذكراها هكذا؟ حسنا يا " إيثان تريمين . لقد كذبت علي ، ولا يمكنني أن احبك بعد الآن " .

وقال بهدوء

- " روكسي " ... إنك تنتمين إلي ... "

وهبت في وجهه :

- كلا ، لقد استغللتني ، وهذا هو الفرق . إذا كنت قد حصلت على انتقامك ، واثرت في نفسي الرغبة فيك ، فإني اعترف لك بالنجاح . ولكن ذلك لن يتكرر مرة اخرى " ورفعت راسها في كبرياء :

- " سوف اطهر كل بقعة لمستها في جسمي ، وسيكون ذلك آخر العهد بيننا وبدا ماخوذا كما لو كانت قد صفعته على وجهه . وقال بصوت اجش ، وعيناه تلمعان كالزمرد :

- لا ، ليس صحيحا . إن لحظات كهذه ، مليئة بالنشوة والعواطف الجياشة ، لجد نادرة ، ولن تمحى من الذاكرة . وحين تهدئين ، ساعود واشرح لك الأمر "

وردت بحسم :

- " لا تتجشم المشقة "

- " لن ينساني جسدك ولن ينساني قلبك" .

- " لن اتذكر منك إلا انني كنت أوشك ان اصير زوجة لك ، وتعود إليك " كارنوك" .والآن ، سوف ابيع محلاتي لأجل ذلك ، فلا تحاول إخافتي بتلك المكالمات او تلك الأفعال البلهاء مرة اخرى"

وقال مزمجرا :

- لم يمكن ذلك انا . لقد كانت " أنابيل " .

قالت باكية في صوت خفيض :

- " أيها الكذاب ! لقد شاهدت رجلا في الخارج . فكيف تلقي باللوم على اختك ؟

قال وهو يكز على أسنانه :

- " لقد اغلقت فمي مدة طويلة ، والآن ، سوف تسمعينني .

لقد كانت دائما تريد منزل " تريمين " لنفسها . كانت تنظفه وتهتم به

كل يوم. وحين علمت بالمكالمات ، ادركت انها وراءها . لقد اقنعت صديقها بان يثير كل هذا ضدك . "

سالت ببرود :

- " ولماذا تريد مني ان اترك المنزل ؟ "

- " حتى اشغله انا ، ويخلص لها المنزل الآخر مع صديقها الذي كان يتوقع ان ترث هي الضيعة كلها . ولهذا السبب اظهرت الوصية المختومة حين عثرت عليها . ولو كانت تعلم انها محرومة من الميراث ، لما فعلت . لقد تشاجرت معها يوم ان احضرتك مرعوبة إلى المنزل .

قالت إن صديقها لن يتزوجها إلا إذا كانت ثرية ، فهو يريد ان يفتتح عيادة نفسية ، وان يرى نفسه مالك ارض محترما . "

وامسك بيدها ، فسحبتها بعنف .

فقال :

- انكرهينني ؟ قالت بصوت مفعم بالياس :

- اكثر مما تتصور . "

- " وهل ستبقين في " كارنوك " .

كان صوته منخفضا حتى كادت لا تسمعه ، وردت :

- نعم ، وسوف تغادرها انت قال :

-لن اياس " فقالت بلا انفعال :

- عند اول بادرة منك ، ساستدعي الشرطة . قال مغمغما :

- " لم اكن اتحدث عن الضيعة "

واستدار على عقبيه ، وانصرف . وظلت هي ساكنة ماخوذة تماما بهذا الإصرار الذي رانه على وجهه .

يا إلهي . كيف حدث وغرقت في حياته المليئة بالمتناقضات . إن ال تريمين " كلهم شر . إنه امر غاية في الغرابة ان تبقي امها مع واحدة منهم كل هذه الفترة . ربما لو اكتشفت هي عنهم شيئا آخر لاعطاها هذا قوة لمواجهته لو عاد مرة اخرى .

وقامت متثاقلة . لقد اصبحت وحيدة في الحياة ، ويجب عليها ان تستجمع قواها . واهم شيء الآن ، هو ان تعين مديرا للضيعة ، يمكنه ان يلقي بـ" تريمين " خارجها لو تجرا ووطئها بقدمه .

اعدت لنفسها قدحا من القهوة ، وجلست على العشب تحتسيه .

ومرق امامها جناحان ملونان باللونين الابيض والاسود لغراب العقعق كانت تطارده حمامة مطوقة تدافع عن عشها .

وبعد ذلك ، خرج منطلقا من العشب شيء صغير بني اللون الشكل ، في اعقابه ستة طيور من غراب الزيتون . ورات الطيور تهاجم ذلك الفاقم ، وتخزه بمناقيرها . وفهمت مما شاهدته كم هو رد فعل غريزي، الدفاع عن المسكن .

ونفس الشيء بالنسبة للتزاوج . وكم كانت روحها تحن لـ " إيثان " كلما وقعت عيناها على مخلوقات الطبيعة في تالفهما الزواجي .

تنهدت . وافرغت بقية قدحها في جوفها ، ثم هبت واقفة . نافضة عن ذهنها كل تلك الأفكار . فامامها من المهام مالا يجعل لها وقتا لمثل تلك التاملات العاطفية . وحين أن اوان ازهار الرودودندرون ، وبدات افراخ الغراب تتعلم الطيران ، كانت قد عينت مديرا للضيعة اسكنته احد المساكن الملحقة بها . وكانت ترهق نفسها بقراءة كل ما يتعلق باعمال الزراعة . ويوما بعد يوم ، اصبحت مشغولة إلى درجة انستها " إيثان " . فالمنزل تتردد في جنباته اصوات المرممين والقائمين بالديكور ومستبدلي الاثاث . كما كان العمل يجري على قدم وساق خارج المنزل ، خبراء زراعة ليعيدوا الشباب إلى الاشجار ، ومصمم الحدائق يتجادل مع البستاني .

واندمجت رويدا رويدا في حياة القرية . المدرسة تقيم حفلها السنوي .

مساهمة من محلات " زست " التي يديرها " جو " من المركز الرئيسي في لندن . وكانت الحياة تسير سهلة غير متعجلة . والناس بها مرحبون .

عدا الليالي . فقد كانت فارغة ، تقاسي خلالها الحنين لـ " إيثان " . ولذا دفعت نفسها اكثر في خضم الحياة الاجتماعية . حفلات سمر ، اعياد دينية ، مؤسسة المراة ، خدمات المكتبة . اي شيء ينهك قواها ، فتستطيع ان تروح في نوم عميق دون معاناة الشوق إليه .

وكانت إحدى الحفلات ستقام في منزل " كارنوك " . ، حيث تضم صالته المدعوين بكل يسر . وتعهدت شركة اغذية بتقديم وجبات من كتاب قديم عثرت عليه في المنزل وكان على المدعوين الحضور بملابس تاريخية .

واختارت هي رداء ابيض من قماش الموسيلين " ، عاري الرقبة ، يلتف حول جسمها في اناقة ، ولفت شعرها بشريط من نفس القماش. وكانت مناسبة عظيمة ، احست فيها لأول مرة بالاحتياج إلى رفيق يشاركها فيها ، ويحيي معها ضيوفها واخفت " روكسي " هذا الشوق وراء قناع هش . ولمعت عيناها بالإثارة المصطنعة وبتاثير الشراب . واصابتها الاحاديث بالصداع وهي تحاول ان تستمع إليها بادب . ثم انتبهت لصمت ثقيل وراءها .

والتفتت ببطء ، وقد جعل التحذير المسبق يديها تنضحان عرقا . كان " إيثان " واقفا على مقربة " وانابيل متعلقة مذعورة به .

واخذت تلتهمه بعينيها لحظات . كان يرفع راسه في اعتزاز ، ملامحه وسيمة كعادتها ، وعيناه تحدقان في تحد . وكانت ربطة عنقه خضراء اللون متناسقة مع لون عينيه الذي لا يضاهى ، وجاكتته في لون نباتات الغابة خضراء . محكمة حول خصره . والتمعت عيناها .

واخذت تخطو تجاهه ، وادركت ان كل الموجودين في ترقب ، يتساطون كيف ستلقي بذلك المقتحم خارجا .

والتفتت إلى جانبه ، فوجدت " انابيل " تهتز بعنف . وعادت ببصرها إلى عينيه ، واتجهت إليه في ثبات .

وقالت ببرود :

- " مساء الخير "

وكست وجهه ابتسامة ساخرة :

- " إنك تعرفين " انابيل " بلا شك " .

ومدت لها يدا غير مرحبة :

- كيف حالك " ؟ .

سحبت " انابيل " يدها من ذراع " إيثان " على مضض . واودعتها في يد " روكسي " ونظرت " روكسي " إلى اليد المخضبة اظفارها باللون القرمزي ، واتسعت عيناها حين تعرفت عليها . وعادت " انابيل " تتعلق بذراع "إيثان" ، وفاح في الجو عبير المسك . لم يكن هناك ادنى شك . لقد كانت " انابيل" بجوارها وهي راقدة نصف واعية تحت الشجرة الحمراء ، تجمدت ، وعلى وجهها ابتسامة غير مقنعة وقالت :

- " يمكنك ان تبقى مدة قصيرة إن شئت ، فلست اريد ان افعل ضجة لخاطر اختك ، ولكنني اختار ضيوف حفلتي . ، ولا احب ان ينهل من شرابي رجل احتقره . "

واديرت الموسيقى ، وبدأ الرقص مع الضحك يثيران ضجة عالية وسددت لـ إيثان " نظرة تهديد ، اخذت ذراع شاب من المدعوين وبدأت ترقص وتتابع عليها رفقاء الرقص كلهم ، مسرورون بمرحها المتوقد ، كل واحد يمسك بها كما لو كانت حجرا كريما ، او قطعة من خزف هش وهي طوال الوقت تتوق لمن يمسك بها بذراعين من فولاذ ، وان ياخذها بقوة لتتابع حركته ، وان يحاول إخضاعها .

وبينما هي تمسح المكان بوجهها الضاحك ، لاحظت أن " إيثان " قد بدل من الرفيقات بقدرما فعلت ، ولم يبد على أي منهن امتعاض بسبب سمعته . بل على العكس ، كن متشوقات إليه ، واستشاطت حنقا وهي تراه يراقصهن بكل حرارة وحماس .

الوغد ! سوف تريه انها لا تهتم . فاطلقت ضحكاتها عالية وهي تراقص شبابا تود لو تلقي بهم في الخارج . وتحولت الموسيقى إلى لحن حالم ، وخفضت الأضواء ، ورات " روكسي " " إيثان " قد اختص إحدى الموجودات برقصة هيام ، وجعلت الغيرة تاكل قلبها .

وانتهت الموسيقى ، وبدأت توزع الشكر على ضيوفها ، متعجلة ان تسرع إلى الخارج ، متعطشة لنسمة هواء باردة تلطف بها حرارة الدم في عروقها .

ولكن " إيثان " كان اسرع منها . فقبل ان تدرك ما يحدث حولها ، كان قد احتواها بين ذراعيه

وصاحت فيه محذرة :

" ارفع يديك عني "

قال :

" إنني اريدك "

كانت عيناه قاسيتين وكان ذلك إيذانا بمعركة للسيادة بينهما .

وسالته بابتسامة باردة :

- " انا ام الضيعة ؟ ما الذي تختار يا " إيثان " ، لو خيرت بين الاثنين ؟

قال : انت "

وجاوبته ببرود :

- " إنك كاذب وقال بصوت غليظ رقيق

- " ايتها الغبية ، لماذا نعذب انفسنا هكذا " ؟

ولفحت انفاسه وجهها .

الفصل الثاني عشر

حاولت " روكسي " ان تصرخ ، فلم يخرج صوتها من حلقها . وحاولت التخلص من بين ذراعيه ، فعجزت .

وصاحت فيه :

- إن أختك في انتظارك "

- " لقد عادت إلى المنزل "

- " وتلك الفتاة التي كنت تراقصها هائما "

- " مجرد مساعدة لي في نصب الفخ "

وكررت بصوت متقطع فيه بحة :

- " فخ ؟ "

وقال بسخرية :

- نعم لاكتشف كم انت غيورا علي "

وشعرت بالدم يتصاعد إلى وجنتيها .

وهمست في استكانة :

- " إنني احبك ، لكم كنت اود لو لم افعل "

www.rewity.com

وقال بهدوء :

- " لقد استغرقت وقتا طويلا لإعلان الاستسلام "

وغمغمت مستسلمة :

- لا يمكنني الاستغناء عنك ، حتى ولو كنت في مرتبة ثانية وكرر :

- مرتبة ثانية ؟ " وانحنى ليطبع قبلة على فمها ، واودعها كل ما يحس به نحوها من حنان ، وقال :

- فلتبيعي هذا المنزل اللعين ، وهيا إلي اي مكان اخر ، شريطة ان نكون فيه معا.

لقد كنت معي في منتهى العناد ، ولكنني احبك ، واريدك

وحملقت إلى عينيه ، وسالته متعجبة :

- اتعني حقا ما تقول ؟ " ولم تكن عيناه ساخرتين بل كانتا مملوءتين بالقلق واحتبست انفاسها وهو يومىء لها بالإيجاب بكل جد

وقالت تختبره :

- سوف اضعه غدا في يد سمسار العقارات "

ولم ينفعل ، بل قال :

- اود لو تفعلين ، لقد اصيب هذا المنزل بلعنة سيدتين عجوزين يائستين ، وهذه اللعنة تطاردنا "

وتصلب جسدها لهذه الإهانة لوالدتها .

وقال " إيثان" بكل جد :

- " هذا حق يا حبيبتي . وسوف اريك . لقد احضرت " انابيل " مذكرات والدتك وخطاباتي . وجد تهما مع الوصية حين وجدت لديها الشجاعة ان تذهب إلى الغرفة العلوية القذرة لتنظفها . و حين قراتها، اتركت .. حسنا ، سترين بنفسك . يكفي ان اقول لك الآن ، إنها ظنت ان من الأفضل ان تحتفظ بهما ، لمصلحتنا الخاصة . ولكن حين رات مدى شقائي لفقدك ، غيرت رايها ارجوك ، من اجل مستقبلنا ، هيا معي " ..

وتركته يقودها خلال الصالة ، حيث الحفلة مستمرة لم يلحظ احد غيابها . وجاءها بربطة ملفوفة في ورق هدايا ، ومربوطة بشريط عريض .

قال والجد في عينيه : لك هدية مني ، مع وافر حبي ، وامل ان تقرئي كل كلمة ، وتفهميها . تصبحين على خير "

اخذت ترقبه وهو يبتعد ، عيناها معلقتان بكتفيه العريضتين في القماش الأخضر الداكن . ولم يلتفت وراءه ، بل مديده إلى الباب الأمامي ففتحه، ثم غاص في دكنة الليل .

وامسكت باللفافة ، واسرعت إلى المطبخ ، وباصابع مرتعشة ، اخذت تفك اربطتها .

وانكبت على القراءة ساعتين ، اخذت اصوات الحفلة خلالهما تنوي إلى ان سكن المنزل تماما . وفي النهاية ، فهمت .

كانت خطاباته مثالا للتحفظ ، و لكنها تفيض بالالم من بين سطورها ومن ردود افعاله علمت بشاعة ما كان يوجه إليه من اتهامات . وكانت بعض خطاباته ردا على خطابات امه ، وقد ارفقت بها ، وشعرت " روكسي " بالغثيان حين قراتها . لقد كانت مسز " تريمين " سيدة مريضة ، فهذه الاتهامات الشنيعة لا يمكن ان تصدر عن عقل سوي .

ومن مذكرات والدتها ، ادركت " روكسي " كيف اصبحت روايات مسز " تريمين " مقنعة بالتدرج . ففي البداية ضمت المذكرات ملاحظات حول ما تحكيه السيدة العجوز عن ابنها ، وتعليقات حول نبذ " إيثان " لامه دون شفقة . وكيف انه اسرع بوفاة ابيه عن طريق حفلات الشراب الصاخبة . واخيرا ، قرات " روكسي " في اسى حنق والدتها الذي غرسته فيها مخدومتها بسب محاولات " إيثان " الشريرة لإغواء اخته " انابيل " . إن امها لم تكن كذلك ابدا . لقد وضعت تعاطفها في غير محله .

واسوا من ذلك ، انها اخذت تنشر هذه القصص في القرية ، ولاعجب إذن ان يكون " إيثان " غاضبا منها .

واغلقت المفكرة وقد استبد بها الفزع . لقد استسلمت ميلي بيج " ومسز "تريمين" لمشاعر حقدهما فافسد عليهما تقديرهما للامور . كيف اصبحت امها بهذا العمى ؟

واخذت تذرع المكان في تفكير عميق . لقد كانت امها من صنف النساء اللاتي لا يردن لمخدومهن كلمة ، تنظر إليهم على انهم " القوم

الأفضل " . لقد كانت رهن إشارة الآخرين إلى ان فقدت تماما استقلال التفكير .

لقد دفعها قلبها الكبير إلى ان تنفعل مباشرة لحماية السيدة العجوز الكسيرة التي تخدمها . كالطيور حين تحمي افراخها . إن القصص التي كانت تختلقها السيدة العجوز بتفاصيل دقيقة قد صبغت حياتهما ، وجلبت عليهما تاثيرا سيئا .

وشعرت " روكسي " بالتعاسة ان جرحت امها الرجل الذي احبته ، ولكنها فهمت ولقد راى إيثان تدخل " ميلي بيج " ورفضها السماح له برؤية امه . ومن ثم فقد تصور انها اثرت عليها لكي تضع الوصية لصالحها . وعضت " روكسي " شفتها . إنها سوف تخبر " إيثان " انه مخطئ .

وعادت إلى الصالة فوجدت شبحايتوارى في الظلام ، فصرخت من الفزع .

وقال " إيثان " :

- إنه انا . "

كان واقفا داسا يده في جيبي جاكتته ، وقد باعد بين ساقيه ليس في غرور ، ولكن في ترقب .

وقالت بعصبية ، وهي تشبك اصابعها :

- لقد قرات الخطابات . ولقد رايت الآن اي طراز من النساء كانت والدتك ، وان والدتي لم تعتقد ابدا ان مسز " تريمين " قد تكون مخطئة"

- " حين غادرت مع والدي " كارنوك " ، ومن بعدنا " انابيل " ، لم يصبح لدي والدتي ما يشغلها . واصبحت كل ساعة من يومها مشغولة بالدسائس ، والخطط ، والكراهية .

وقد انغمست والدتك في كل هذا . وفي نطاق القرية ، لم يكن الدليل مطلوبا ، فالاقاويل تتناقلها الالسن دون حاجة إلى براهين . وهكذا تنقل القصص ، وتنضخم . "

وسالته :

- " وماذا ستفعل إزاء سمعتك هذه" ؟

- " لا شيء ، ساتركها إلى ان تنوي ثم تنسى "

- " إنني واثقة ان امي لم تقنع والدتك بالنسبة للوصية .. "

قال برقة :

- اعلم . لقد فكرت في هذا ايضا . ويمكن ان يفهم هذا من اسلوب كتابة والدتك . لقد كانت إنسانة مخلصة ، ولقد اخطات في حقها ، وإني اسف "

- " وانا اسفة لما حملت على عاتقك من هموم . ولاعجب ان ثارت ثائرتك حين علمت انني الوريثة . "

وابتسم ابتسامة واهنة :

- لقد رايت فيك امراة سطحية ، عديمة المبادئ مسرفة اعجز من ان تحافظي على " كارنوك " . وربما ستدهنين كل باب بدرجة مختلفة من اللون البرتقالي"

واطلقت ضحكة مهتزة :

- " اهكذا كل شيء ؟ ولكن خبرني ، ماذا كانت تفعل اختك وصديقها بجواري يوم ان صدم راسي ؟ "

- آه ، لقد انفصل الفرع بالفعل ، واصطدم براسك . وقد راك صديقها ، وكان متجها ليواصل إزعاجك ، فوجدك ملقاة على الارض . ولم يفعل شيئا ، وعاد ليخبر اختي . وكان بإمكانهما ان يتركاك هناك ، ولم يكن لاحد ان يعثر عليك .

وربما ظللت يومين او ثلاثة ، إلى ان تموتي في مكانك ، ولكنها طلبت لك سيارة الإسعاف وظلت هي بجوارك ، تغطيك بسترتها الصوفية .

واهتزت مشاعر " روكسي " .

- لقد كانت ذات قلب رحيم إذن ؟ "

- " نعم . ، حينما اخبرتها برغبتي في الزواج منك ، وافقت ان تحضر معي الحفلة، عالمة انك قد تطردينني لو حضرت بمفردي "

وقالت في تعاطف :

- " اكان مجهودا خرافيا بالنسبة لها ؟ "

هز راسه :

- إنها لم تر احدا تقريبا منذ اشهر ، بخلاف صديقها . ولكنها الآن

قد تخلصت منه ، وتريد منا أن نساعدها في الدخول إلى الحياة مرة أخرى ، فما رايك" ؟

اقبلت عليه ، ووضعت راسها على صدره ، وزمجر قائلا :

- " لقد كدت اقذف هؤلاء الرجال من النافذة . " فضحكت قائلة .

- " إنني لم اكد اركب الزجاج فيها "

- " يجب ان تبدئي البحث عن مسكن آخر من الصباح . فلن استطيع الانتظار اكثر من ذلك . ودق قلبها بجنون :

- لابد انك تحبني حبا جما حتى تضحي من اجلي بـ " كارنوك " مع علمي بمدى تعلقك بها . "

وهمس في اذنها :

- إنها لا تساوي شيئا بجوار ما اشعر به تجاهك "

قالت : -" اريد البقاء هنا ، وقد علمت انه لا منافس لي ، وانني في المقام الأول لديك" .

وكانت لحظة لم يعد للأحزان فيها مكان . ليس سوى المستقبل ، واحلامه .

وهمست له :

- " لكم أود ان اكون ملك يمينك "

وغمغم قائلا :

- كما انا ملك يمينك "

(تمت بحمد الله)